

الهوية في المنجز الأدبي للدكتورة خالدة خليل

أ.د. محمد شاكر الربيعي

الباحث. صدام حسين لطيف

جامعة بابل / كلية التربية الأساسية

Identity in the Literary Work of Dr. Khalida Khalil

Researcher. Saddam Hussein Latif

Prof. Dr. Muhammad Shaker Al-Rubaie

University of Babylon / College of Basic Education

basic.mohammad.shaker@uobabylon.edu.iq

Abstract

The issue of identity is one of the most important themes that has preoccupied human beings throughout history. It relates to the individual's understanding of themselves and their place in the world, and is fraught with questions about belonging, the self, and the brother. In literature, identity plays a pivotal role, as the writer reflects their worldview and personal and cultural experiences through their works, making literature a means of exploring individual and collective identities.

The study of identity in Khalida Khalil's literature is not limited to the theoretical aspect alone, but extends to exploring the literary styles and symbols she uses to deepen the understanding of identity. Her works range from poetry, short stories, and novels, providing an opportunity to study identity in various literary forms. Furthermore, her literary experience is a testament to the expressions of identity in Arab feminist literature, which seeks to reformulate the concept of self and other. Based on the above, this research seeks to examine identity in the literary work of Dr. Khalida Khalil, by analyzing her literary texts and revealing how identity is embodied across its various dimensions. The research will focus on analyzing identity as a literary and social phenomenon, drawing on modern critical approaches that address issues of self and other, and cultural and social identity. In this approach, the research aims to shed light on Khalida Khalil's contributions to the field of Arabic literature and to foster a deeper understanding of identity in her literature.

Keywords: identity, work, literature, Khalida Khalil.

المخلص

تعد مسألة الهوية أحد أهم المحاور التي تشغل الإنسان عبر التاريخ، حيث تتعلق بفهم الفرد لذاته ومكانه في العالم، وتأتي محملة بالتساؤلات حول الانتماء والذات، والأخ، وفي الأدب تلعب الهوية دوراً محورياً، إذ يعكس الكاتب من خلال أعماله رؤيته للعالم وتجاربه الشخصية والثقافية، مما يجعل الأدب وسيلة لاستكشاف الهويات الفردية والجماعية.

إن دراسة الهوية في أدب خالدة خليل لا تقتصر على الجانب النظري فحسب، بل تتعداه إلى استكشاف

الأساليب الأدبية والرموز التي تستخدمها لتعميق فهم الهوية، وتراوح أعمالها بين الشعر، القصة، والرواية، مما يتيح فرصة لدراسة الهوية في أشكال أدبية متعددة، بالإضافة إلى ذلك، تعتبر تجربتها الأدبية شاهداً على تعبيرات الهوية في الأدب النسوي العربي، والذي يسعى لإعادة صياغة مفهوم الذات والآخر.

بناءً على ما تقدم، فإن هذا البحث يسعى إلى دراسة الهوية في المنجز الأدبي للدكتورة خالدة خليل، من خلال تحليل نصوصها الأدبية والكشف عن كفاءات تجسيد الهوية عبر أبعادها المختلفة، وسيركز البحث على تحليل الهوية كظاهرة أدبية واجتماعية، مستنداً إلى المناهج النقدية الحديثة التي تتناول قضايا الذات والآخر، والهوية الثقافية والاجتماعية، وبهذا الطرح يهدف البحث إلى تسليط الضوء على إسهامات خالدة خليل في الحقل الأدبي العربي، وفهم أعمق للهوية في أدبها.

الكلمات المفتاحية: هوية، منجز، أدبي، خالدة خليل.

التمهيد: الهوية في النقد الأدبي الحديث:

تعد العلاقة بين الهوية والأدب علاقة وثيقة ومعقدة، حيث يعكس الأدب تجارب الأفراد والمجتمعات ويعبر عن هويتهم الثقافية والاجتماعية، ويعمل الأدب كوسيلة فعالة للتعبير عن الهوية الثقافية، حيث يسرد الكتاب قصصاً تعكس القيم والتقاليد والمعتقدات التي تشكل ثقافة معينة، ومن خلال الشخصيات والأحداث، يمكن للأدباء استكشاف الهوية الفردية، معبرين عن مشاعرهم وتجاربهم الشخصية، مما يساعدهم على فهم أنفسهم بشكل أعمق، كما يتأثر الأدب بالسياقات الاجتماعية والسياسية، حيث يعكس تأثير الأحداث التاريخية على الهوية، خاصة في فترات الأزمات مثل الحروب والهجرات، وفي هذه السياقات، يصبح الأدب وسيلة لتوثيق المعاناة والتحديات التي تواجه الأفراد في سعيهم للحفاظ على هويتهم، علاوة على ذلك يسهم الأدب في تشكيل الهوية الجماعية، حيث يعزز الشعور بالانتماء والتضامن بين أفراد المجتمع من خلال سرد القصص المشتركة، وفي العصر الحديث يواجه الأدب تحديات جديدة تتعلق بالهوية، مثل العولمة والهجرة، مما يجعله موضوعاً غنياً يستحق الاستكشاف، ومن خلال تناول قضايا الهوية الثقافية والجنسية والوطنية، يسهم الأدب في فتح نقاشات حول الهوية وتحدياتها في العالم المعاصر، مما يعزز الفهم المتبادل بين الثقافات المختلفة ويعكس التنوع الإنساني.^(١)

وتتعدد أبعاد الهوية في النقد الأدبي الحديث، حيث تشمل الهوية الثقافية، الهوية الوطنية، الهوية الجندرية، والهوية الاجتماعية، وكل بعد من هذه الأبعاد يتداخل مع الآخر، مما يجعل من الصعب فصلها عن بعضها البعض؛ لذا فإن دراسة الهوية في الأدب تتطلب مقاربة شاملة تأخذ بعين الاعتبار السياقات التاريخية والاجتماعية

(١) يُنظر: "الهوية والانتماء والأدب: علاقة تجاذب: عمر أبو ريشة أنموذجاً عبدالله بن محمد بن ظافر القرني، " مجلة العلوم

الشرعية والعربية، العدد ٣ (٢٠٠٨)، ص ٣١٥.

والنفسية التي تشكل هذه الهوية.^(١)

وتتأثر الهوية الثقافية أيضًا بالتغيرات الاجتماعية والسياسية، وفي العديد من المجتمعات، يمكن أن تؤدي الحروب، النزاعات، أو التغيرات الاقتصادية إلى إعادة تشكيل الهوية الثقافية؛ لذا فإن الأدب يصبح وسيلة للتعبير عن هذه التغيرات، حيث يمكن للكتاب أن يعكسوا تجاربهم الشخصية وتجارب مجتمعاتهم من خلال نصوصهم.

الهوية في الأدب النسوي

تعتبر الهوية موضوعًا محوريًا في الأدب النسوي، حيث تتناول العديد من الكاتبات العربيات قضايا الهوية الجندرية ودور المرأة في المجتمع، وتعكس هذه النصوص تجارب النساء وتحدياتهن، مما يساهم في تعزيز الوعي بقضايا الهوية الجندرية، ومن خلال دراسة الهوية في الأدب النسوي، يمكن للنقاد أن يكشفوا عن كيفية تأثير التقاليد والأعراف الاجتماعية على حياة النساء، وكيف يمكن للأدب أن يكون وسيلة للتعبير عن المقاومة والتغيير.^(٢)

الأدب النسوي كوسيلة للتعبير

يعتبر الأدب النسوي وسيلة فعالة للتعبير عن الهوية الجندرية، حيث يمكن للكاتبات أن يعبرن عن تجاربهن الشخصية وتجارب النساء في مجتمعاتهن، ومن خلال الكتابة يمكن للنساء أن يسلطن الضوء على التحديات التي يواجهنها، مما يساهم في تعزيز الوعي بقضايا الهوية الجندرية، ويمكن أن نجد في أعمال "أحلام مستغانمي" تصويرًا لتجارب النساء في مواجهة التحديات الاجتماعية، وفي روايتها "ذاكرة الجسد"، تتناول مستغانمي قضايا الحب، الهوية، والحرية، مما يعكس تجارب النساء في البحث عن هويتهن في مجتمع يفرض قيودًا على حريتهن.^(٣)

الفصل الأول: الهوية والمرجعيات الإيديولوجية للهوية في المنجز الأدبي للدكتورة خالدة خليل

أولاً: مفهوم الهوية

١ - الهوية لغة

وردت لفظة "الهوية" في "لسان العرب" لابن منظور، حيث تُشتق من الفعل "هَوَى"، ويُعرف الفعل "هَوَى" بالفتح بأنه يعني السقوط أو الانخفاض، كما يُستخدم للدلالة على السقوط من مكان مرتفع إلى مكان منخفض،

(١) يُنظر: صراع الهوية والذات في رواية "حتى العاصف هاجرت" لهاجر ميموني، عرجون حنان وعريبي بدر، ص ١٥.

(٢) يُنظر: "الهوية الاجتماعية في الأدب النسوي: دراسة في دلالة الفالوس عند جاك لاكان وتشكيل الهوية الاجتماعية في الخطاب

الابداعي النسوي، وفاء مسعود محمد الحديني، مجلة علم النفس، العدد ٨٧، ٨٦، ٨٥، ٨٤، (٢٠١٠)، ص ١٠٥

(٣) يُنظر: "الشخصيات النسائية في رواية أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد - ١ -"، حسناء بوزيطة الطرابلسي، مجلة ثقافات، العدد

١٣، (٢٠٠٥)، ص ١١٥.

وفي هذا السياق يُقال "أهويته" إذا ألقيته من فوق^(١)

تُشتق كلمة "الهوية" أيضاً من "الهواء"، الذي يعني الجو، وترتبط بمفاهيم مثل "المهواة" و"الهوة" و"الهاوية"، مما يشير إلى الفراغ أو الفضاء الفارغ، كما تُستخدم في سياقات متعددة، مثل "الجبان" و"العشق" الذي يمكن أن يكون في الخير والشر، مما يعكس تعقيد الهوية الإنسانية، وتُشير "الهاوية" أيضاً إلى الحفرة العميقة، وهي أحد أسماء جهنم، مما يضيف بُعداً آخر لفهم الهوية كمساحة تحمل معاني السقوط والانحدار، وبالتالي يمكن القول إن الهوية ليست مفهوماً ثابتاً، بل تعبير عن التغيرات والتحديات التي يواجهها الأفراد، وتحتوي على جوانب من العمق والغموض.^(٢)

٢- الهوية اصطلاحاً:

تتعدد تعريفات الهوية وتتنوع، حيث يختلف تعريفها في علم النفس عن تعريفها في الفلسفة وعلم الاجتماع، كما يشير أحد الباحثين إلى أن "الهوية تحمل تعريفات متعددة حسب العلم الذي يتناولها، سواء كان علم النفس أو الأنثروبولوجيا أو علم الاجتماع".

عرفها محمد عمارة بقوله: "إن الهوية تشبه البصمة بالنسبة للإنسان، حيث تميز الفرد عن غيره، وتتجدد فاعليتها ويظهر وجهها كلما أزيلت عنها طوارئ الطمس والحجب، دون أن تُخلى مكانها ومكانتها لبصمات أخرى".^(٣)

عرفت ماجدة حمود الهوية بقولها: "إن الهوية تمثل ما يصمد من الإنسان عبر الزمن، حيث تلازمه وتشكل شخصيته وتحدد معالمه بشكل ثابت، وهذا الثبات يمنح إبداعه طابعاً خاصاً، مما يجعله بعيداً عن كونه مجرد نسخة من الآخرين، وبالتالي تُعتبر الهوية شرطاً أساسياً للفرد، تؤثر في الجماعة وتمنحها سمات مميزة؛ لذا لا يمكن فصل 'الأنا' عن 'النحن'، إذ إن الهوية تحقق شعوراً غريزياً بالانتماء إلى الجماعة والتماهي معها، مما يؤدي إلى تبادل الاعتراف، وبالتالي لا يمكن اختزالها في تعريف بسيط أو واضح".^(٤)

ثانياً: أبعاد الهوية:

تُعتبر الهوية مفهوماً معقداً يتداخل فيه العديد من الأبعاد التي تشكل فهمنا لأنفسنا وللآخرين، ومن بين هذه الأبعاد، يمكننا التطرق إلى أربعة أبعاد رئيسية: البعد الوجودي الانطولوجي، البعد المعرفي-المنطقي، البعد

(١) لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت لبنان، د، ط، ١٨٦٣ مادة (هـ-و-ح) ص ١١٥

(٢) يُنظر: القاموس المحيط، الفيروز أبادي، ص ١٣٤٧.

(٣) يُنظر: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، محمد عمارة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٩، ص ٦.

(٤) إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، ماجدة حمود، عالم المعرفة، دولة الكويت، د، ط، ٢٠١٣، ص ١٥.

التاريخي، والبعد القيمي، وسنستعرض كل بُعد على حدة، مع توضيح كيفية تأثيره على تشكيل الهوية.^(١)

١. البعد الوجودي (الانطولوجي) للهوية

الوجودية الانطولوجية تتعلق بفهم الكينونة والوجود، وهي تسعى للإجابة عن أسئلة عميقة تتعلق بمعنى الحياة والوجود، ويُعتبر هذا البعد جزءاً أساسياً من الهوية، حيث يتناول كيفية إدراك الأفراد لذواتهم ومكانتهم في العالم، وإن الأسئلة الوجودية مثل "من أنا؟" و"ما هو دوري في الحياة؟" و"ما معنى وجودي؟" تدفع الأفراد للتفكير في هويتهم بشكل أعمق، مما يؤدي إلى تشكيل فهمهم لذاتهم.^(٢)

تتطلب هذه الأسئلة بحثاً مستمراً عن الذات، حيث يسعى الأفراد للإجابة عنها من خلال التأمل الذاتي والتفاعل مع الآخرين، وهذا البحث لا يقتصر على الجوانب الفكرية فقط، بل يشمل أيضاً التجارب الحياتية التي يعيشها الفرد، فكل تجربة سواء كانت إيجابية أو سلبية، تُساهم في تشكيل الهوية، مما يجعلها عملية ديناميكية تتطور مع مرور الوقت.

٢. البعد المعرفي-المنطقي

يتعلق البعد المعرفي-المنطقي بكيفية فهم الأفراد للعالم من حولهم، وكيفية تشكيل معرفتهم ومعتقداتهم، ويُعتبر هذا البعد أساسياً في تشكيل الهوية، حيث يؤثر على كيفية رؤية الأفراد لأنفسهم وللآخرين، وإن المعرفة التي يكتسبها الأفراد من خلال التعليم والتجارب تلعب دوراً محورياً في تشكيل هويتهم، مما يجعل هذا البعد جزءاً لا يتجزأ من التجربة الإنسانية.^(٣)

تتكون الهوية من خلال المعرفة التي يكتسبها الأفراد عبر التعليم والتجارب الحياتية والتعليم، سواء كان رسمياً أو غير رسمي، يُعتبر وسيلة رئيسية لنقل المعرفة، ومن خلال التعلم، يكتسب الأفراد معلومات جديدة، مهارات، ورؤى تساعد على فهم العالم من حولهم، وهذه المعرفة تُساعد الأفراد على تشكيل آرائهم ومعتقداتهم، مما يؤثر بشكل مباشر على هويتهم.^(٤)

(١) يُنظر: أبعاد الهوية الوطنية في كتابات المنفي، السعدية زابي، مجلة جامعة الزيتونة الدولية، العدد الثالث عشر، ٢٠٢٣، ص ٩

(٢) يُنظر: أبعاد الهوية في رواية الخيال العلمي "معبد تانيت الهادي ثابت" أنموذجا (رسالة ماجستير غير منشورة)، آسية بولخماير، وسارة بوعافية، جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل (قسم اللغة والأدب العربي)، ٢٠١٨، ص ٤١.

(٣) يُنظر: "مفهوم الهوية في عالم متغير"، رشيد الحاج صالح، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، المجلد ٣٣، العدد، ١٣٠، (٢٠١٥)،

ص ١٦٥ - ٢٠٣

(٤) يُنظر: "الهوية: مقارنة في تكون المفهوم ودلالة أبعاده، محمد الكحلوي، " في المؤتمر الدولي النقدي الأول: الهوية والأدب

أبها: نادي أبها الأدبي، مج ١ (٢٠١٥)، ص ٢٠٥ - ٢٢٤.

٣. البعد التاريخي

الهوية ليست ثابتة، بل تتشكل وتتغير عبر الزمن، ويُعتبر البعد التاريخي عنصراً حيوياً في فهم الهوية، حيث يُظهر كيف تؤثر الأحداث التاريخية على تشكيل الهوية الفردية والجماعية، ومن خلال استكشاف هذا البعد، يمكننا فهم كيف تلعب التجارب التاريخية دوراً في تشكيل من نحن اليوم.

يُعتبر التاريخ المشترك جزءاً أساسياً من الهوية الجماعية، حيث يُساهم في تشكيل الشعور بالانتماء، والأحداث التاريخية مثل الحروب والثورات، تُشكل الذاكرة الجماعية وتؤثر على كيفية رؤية الأفراد لأنفسهم، والشعوب التي عانت من الاحتلال أو الاستعمار غالباً ما تتشارك في تجارب مؤلمة تُعزز من شعورهم بالوحدة والانتماء، وهذه التجارب تُعتبر جزءاً من الهوية الجماعية، حيث تُساهم في تشكيل قيم ومعتقدات مشتركة. (١)

ثالثاً: السيرة الذاتية للدكتورة خالدة خليل

الدكتورة خالدة خليل هي كاتبة وسياسية عراقية بارزة، تتمتع بخبرة واسعة في مجالات الأدب والسياسة، وتخرجت من كلية الآداب قسم اللغة العربية، وحصلت على شهادات متقدمة في الأدب والنقد، مما جعلها واحدة من الشخصيات الثقافية البارزة في العراق، بالإضافة إلى مسيرتها الأكاديمية، لعبت خالدة دوراً مهماً في الحياة السياسية في إقليم كردستان والعراق بشكل عام.

التعليم

حصلت الدكتورة خالدة على شهادة الماجستير في الأدب والنقد الحديث من جامعة الموصل، حيث قامت بدراسة النصوص الأدبية وتحليلها، مما أضاف إلى خبرتها في مجال النقد الأدبي، ولم تتوقف طموحاتها عند هذا الحد، بل حصلت على شهادة الدكتوراه الوطنية في اللغة والأدب والحضارة العربية بدرجة امتياز، مما يعكس تفوقها الأكاديمي وعمق معرفتها في هذا المجال.

إضافة إلى ذلك، درست الدكتورة خالدة اللغة الألمانية في جامعة زارلاند في ألمانيا، مما أتاح لها فرصة التعرف على ثقافات جديدة وتوسيع آفاقها اللغوية، وهذه الخلفية التعليمية المتنوعة تُعتبر أساساً قوياً لدورها ككاتبة وسياسية، حيث تجمع بين المعرفة الأدبية والفهم القانوني.

الإصدارات (المؤلفات):

لديها مجموعة من المؤلفات التي تعكس إبداعها الأدبي، منها:

١. شرنقة الحمى - شعر، مؤسسة شمس للنشر والإعلام، القاهرة ٢٠٠٨.
٢. أشعة الهراء - رواية، مؤسسة شمس للنشر والإعلام، القاهرة ٢٠٠٩.
٣. توهجات رماد - شعر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ٢٠١٣.

(١) يُنظر: "مفهوم الهوية في عالم متغير"، رشيد الحاج صالح، ص ١٦٧

٤. اختلاف الرؤى والتلقي في الخطاب الشعري، دار الشؤون الثقافية، بغداد ٢٠١٤.
٥. شرق المتوسط: البنية السردية وآليات تشكيلها الفني، مؤسسة شمس للنشر والإعلام، القاهرة ٢٠٢٣.
٦. بحر يمور على كفي - النص المفتوح، مؤسسة شمس للنشر والإعلام.
٧. الديمقراطية الناشئة في العراق: التحديات والمآلات، مؤسسة شمس للنشر والإعلام، قيد الطبع.

رابعاً: المرجعية التاريخية والوطنية للهوية

• المرجعية التاريخية للهوية

يعرف عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢-٨٠٨هـ) التاريخ بأنه "تذكر الأخبار الخاصة بعصر أو بجيل"، مما يشير إلى أن التاريخ يتناول الأحداث والوقائع التي تخص فترات زمنية معينة أو مجتمعات محددة، ويضيف أن "تذكر الأحوال العامة للأفاق والأجيال والإعصار" يعد أساساً للمؤرخ، حيث يُعتبر هذا الفهم العام ضرورياً لفهم الأحداث التاريخية بشكل أعمق.^(١)

كما يعرفه أيضاً في قوله فن التاريخ في ظاهره لا يزيد عن أخبار الأيام والدول، والسوابق من القرون الأولى، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات، ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع بالتساؤل عن أحداث الماضي فيسجلها، ولكنه يسأل أيضاً عن كيفية حدوثها^(٢).

إن ارتباط التاريخ بالهوية يتجلى في العلاقة الوثيقة بين هذا المجال المعرفي المهم والمجتمع^(٣)، فاللجوء المتكرر إلى التاريخ من قبل الجماعات البشرية لا يهدف فقط إلى استكشاف الوسائل أو التقنيات المرتبطة بعصرهم، بل هو في جوهره بحث عن القيم والأهداف التي تشكل أساس هويتهم، وتعكس هذه العودة إلى التاريخ رغبة الأفراد والمجتمعات في فهم جذورهم وتقاليدهم، مما يعزز من شعورهم بالانتماء ويعمق وعيهم الذاتية، وتعتبر القيم المستمدة من التاريخ بمثابة مرجعيات توجه سلوك الأفراد وتحدد مواقفهم تجاه العالم من حولهم، ومن خلال استحضار الأحداث والشخصيات التاريخية، تسعى المجتمعات إلى استلهام الدروس والعبر التي تساعد في مواجهة التحديات المعاصرة.^(٤)

وبذلك يصبح التاريخ ليس مجرد سرد للأحداث، بل هو عنصر حيوي يسهم في تشكيل الهوية الجماعية، ويعزز من الروابط الاجتماعية، وإن فهم الماضي يساعد الأفراد على تحديد مساراتهم المستقبلية، مما يجعل التاريخ جزءاً لا يتجزأ من الهوية الثقافية والاجتماعية، لذا فإن العلاقة بين التاريخ والهوية تعكس عمق التجربة الإنسانية

(١) يُنظر: مقدمة ابن خلدون، (ج٢)، عبد الرحمن ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد درويش دار يعرب، (ط)، ٢٠٠٤، ص ٣٤.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٥.

(٣) يُنظر: طبيعة المعرفة التاريخية وفلسفة التاريخ، حسين محسن، أربيل مؤسسة موكرياني، (٢٠١٢)، ص ١٠.

(٤) يُنظر: العلوم الإنسانية والفلسفة، لوسيان غولدمان، ترجمة يوسف الأنطكي، القاهرة المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٦، ص ٤٩.

وتنوعها، مما يساهم في بناء مجتمعات أكثر وعياً وتماسكاً.

إن ارتكاز الهوية على مختلف أشكالها، وعلى التاريخ والثقافة، إنما هو ركون إلى جوهر المجتمعات التي تنتمي إليها، وهو إدراك لقيمتها داخلها وبالتالي فهو إجراء، أصيل، وسلوك إيجابي مفيد، ما دامت ترنو إلى بناء الأوطان لا هدمها، أما الصور السلبية التي تتطوي عليها كل ذاكرة بشرية، فهي مفيدة كذلك ولا غنى عنها، فإذا كانت الأولى مبعث (الاعتزاز) غدت الأخرى مبعث (الاعتبار) وكلاهما شرط لازم لأي تقدم ونهوض.^(١)

تعدد المواضيع التي تأثرت بها بالمرجعية الوطنية للدكتورة خالدة خليل، ولقد تعدد هذا النوع من الهوية في مؤلفاتها فنجد في رواية أشرعة الهراء نرى تجلي التاريخية وتأثيرها من خلال النص التالي:

"حدث هذا عندما كانت كليوباترا تزج سبأهم في حروب تقطع أوصالها سنابل قمح أخضر، وتغرز أنيابها في جيوب فقر تزيده عامات على عاهاته، تبرم مسامير كرسي عوقه العتيق.

لماذا يا (كليوباترا) ...؟

أمن أجل رومي أغرتك زرقة السماء التي اختطفها عيناه ذات غفلة فأطاحت بسبأ؟ وأضاعنا مملكة شمس في أعماق مخيلة لن تنتشلها غواصات ندم؟

أهكذا لتطفو بها وتجرها إلى ساحل غريق جرف يقظتها مد السنوات وجزرها؟

أدمعت سحبها، فانساح بريق النضارة كعرق ينساح من إبط فضيلة في تموز وآب، أو كأصباغ بماركات تقليدية عن وجوه نساء كندى ورفل وياسمين خارج قوانين ألوان الكيمياء.

فكان كل شيء محض سخام تلفظه عوادم زمن مقهور.

وأنت أيها الجندي الضائع في أحراش وهم المايوهات، أما زلت ترحل في مجرات مجونك الشرقي؟

أما آن لك أن تتعلم من (زوربا) كيف يصنع شعور نسائه، الحسان لماذا لم تدر في فلكه كما دارت

ريتا وكاتي) دون أن يتبعثر اشتهاؤه في الرمل مثلك، بل في قنوات حلمهن المحضور.

كم أنت رائع يا (زوربا) لا تقبل إلا بامرأة مدهونة الجسد بلوشن إنكليزي، ومبخوخة بعطر فرنسي وشعر مصقّف على طريقة ألمانية لا يعرف أسرارها غيرك".^(٢)

وفي موضع امن رواية أشرعة الهراء حيث تصف حالها منذ الولاده مروراً بالحرب وقد ورد موضع في "بحر

يمور على كفي" بعنوان "سندباد اختطفته غفوة" ويتضح من خلال النص تأثرها بالمرجعية التاريخية من خلال:

"على ضفاف يوم آخر، كعادتي أقف مهووسة في رسم حلم غارق فيك... وتقف أنت في الضفة الأخرى قبال

(١) يُنظر: التاريخ بوصفه أداة لتعزيز الهوية الوطنية (قراءة في رسائل فضل الأندلس)، عامر ممدوح خيرو، مجلة مراد الدان، مؤتمر

٢٠٢٠، المجلد ١، ٢٠٢٠، ص ٦١٨.

(٢) أشرعة الهراء (رواية)، خالدة خليل شمس للنشر والتوزيع، ص ١٣

حضارة شاحبة، يفصلني عنك نهرٌ حُزن عميق، قد نغرق فيه إن حاولنا العبور

أنظر إليك، وأدعوك لسماع لحن جوال صادر من دهايز قلبي...

فيما تدعوني أنت لسماع أصوات القنابل !

هو الاختلاف بين أوجه الحضارة يا صديقي. أصواتنا الحرة ما تزال مشدودة بحبال زمن مضى، يطبق عليها الخوف بأنياب شرسة.

ومع كل ما جرى، أقف هناك في ساحة الوعي بين جموع غفيرة من حروف وكلماتٍ مختلفة الألوان والقامات ...^(١)

• المرجعية الوطنية للهوية

إن الهوية الوطنية لا تقتصر فقط على الجوانب المادية مثل الأرض والسكان، بل تتطلب أيضًا استنادًا إلى عناصر أخرى مثل الهوية الدينية أو اللغوية أو الثقافية، كما يُشير إلى ذلك، "لا يمكن الحديث عن هوية وطنية دون الحاجة إلى تسويقها من خلال هذه الهويات الأخرى"، فعندما نتحدث عن الهوية الوطنية في سياقات مثل الهوية السعودية أو السورية أو المغربية، يتعين علينا البحث عن القواسم المشتركة التي تجمع بين هذه الهويات، سواء كانت دينية أو لغوية أو ثقافية، وهذا ينطبق أيضًا على الهوية السياسية، سواء كانت إسلامية أو قومية، لذا فإن فهم الهوية الوطنية يتطلب النظر إلى هذه الأبعاد المتعددة التي تشكل نسيج الهوية وتساهم في تعزيز الانتماء والولاء لدى الأفراد في كل مجتمع.^(٢)

وتُعد الهوية الوطنية العراقية موضوعًا غنيًا ومعقدًا، يتداخل فيه التاريخ والثقافة والدين والسياسة، وتشكل هذه الهوية نتيجة لتراكمات تاريخية وثقافية عميقة، وتواجه تحديات متعددة في ظل الظروف الراهنة، وفي هذا السياق سنستعرض المرجعيات التي تشكل الهوية الوطنية العراقية، الأبعاد المختلفة لهذه الهوية، والتحديات التي تواجهها.^(٣)

خامسًا: المرجعيات الثقافية والتاريخية للهوية الوطنية العراقية

تتجذر الهوية الوطنية العراقية في تاريخ يمتد لآلاف السنين، حيث كانت بلاد الرافدين مهدًا للعديد من الحضارات القديمة مثل السومرية والأكادية والبابلية.. هذه الحضارات تركت بصمات واضحة على الثقافة العراقية، مما يعزز من شعور الانتماء لدى الأجيال الحالية.

(١) بحر يموّر على (كفي) رواية)، خالدة خليل شمس للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٢٤، ص ١٢.

(٢) يُنظر: الهوية السياسية والانتماء الوطني، جريدة الحياة، عبدالله حميد الدين، ص١٢.

(٣) يُنظر: ماهية الهوية الوطنية وتحدياتها: تحديات الهوية الوطنية العراقية، نموذجًا"، أيوب محمد طييمجلة كلية القانون للعلوم

القانونية والسياسية المجلد ٦، العدد ٢١، (٢٠١٧)، ص ٢٣٣

سادسًا: الأبعاد الاجتماعية والسياسية للهوية الوطنية العراقية

تُعتبر الهوية الوطنية العراقية موضوعًا معقدًا يتداخل فيه التاريخ والثقافة والدين والسياسة، وتتعدد الأبعاد الاجتماعية والسياسية التي تشكل هذه الهوية، حيث تلعب العائلة والمجتمع دورًا محوريًا في تشكيل الانتماء الوطني.

تعدد المواضع التي تأثرت بها بالمرجعية الوطنية للدكتورة خالدة خليل ولقد تعدد هذا النوع من الهوية في مؤلفاتها فنجد في مطلع رواية أشرعة الهراء نرى تجلي المرجعية الوطنية وتأثيرها من خلال النص التالي:

"دعاني إلى مائدة حلم كنا تقاسمنا عليها رغيف سنوات المرارة والضياح كل منا يبحث عن سر إلهي لترقيع زلة وجودنا الآري، والسامي هو يبحث عن انفلات أزرار من جسد الحضارة، بينما أبحث أنا عن غيمة لترقيع عورة الحزن المنسكب من إبريق اختلاف.

كانت المفاتيح لما تزل في قبضة المنادي، حين دعا: الحرب على الأبواب.

وخونة الجندي تختبئ خلف أدغال نشيد وطني ضاع ... (وطن مد على الأفق جناحا ...) (١)

وفي قول آخر من رواية "أشرعة الهراء" حيث تصف النشيد الوطني:

"مازال النشيد الوطني يخجل من عريه على شواطئ يحتدم عندها موج قادم من بلاد (ريتا) و(كاترينا) ليقلب سُفنها رأسًا على عقب، فيما تلهث أنفاس الجندي الضائع في قيظ تموز وراء مايوهاتهن، وما يترجرج تحتها وداخلها من غزارة الحياة، يضحكن ويضحكن حتى تغطس أنفاسه في قاع رمال ناعمة، كان مد الغربية وجزر التشبث قد جرفا رفات قواقعها الميتة إلى ساحل خليج أسموه عربيا". (٢)

وقد ورد موضع في "بحر يموؤ على كفي" بعنوان "شريعة الشوق" ويتضح من خلال النص تأثرها بالمرجعية

الوطنية من خلال:

"بي وطن من أمنيات...

وفيك عاصفة ثقايض الهدوء بالحرائق !

ما أطول ممر هذا الليل الذي أخاله لن يوصل بين أصابعي الهائجة وأصابعك الندية !

هذا النبض قد أعلنها حربًا على أوصالي التائهة، وأسدل ستائر الوهم عن ما أسميته أنت بـ «التراجيديا». (٣)

(١) (أشرعة الهراء) رواية)، خالدة خليل شمس للنشر والتوزيع، ص ٧

(٢) (أشرعة الهراء) رواية)، خالدة خليل، ص ١٠

(٣) بحر يموؤ على كفي) رواية)، خالدة خليل، ص ٢٩

الفصل الثاني: تمثيلات الهوية في المنجز الأدبي للدكتورة خالدة خليل

• المرأة بوصفها هوية

تُعتبر المرأة عنصراً محورياً في تشكيل الهوية الإنسانية، حيث تتداخل تجاربها ومشاعرها مع السياقات الثقافية والاجتماعية التي تعيش فيها، وفي الأدب تجسد المرأة مجموعة من الرموز والدلالات التي تعكس تعقيدات الهوية، بدءاً من كونها رمزاً للسلام، وصولاً إلى تجسيدها للحب والعاطفة، وإن تصوير المرأة في الأدب لا يقتصر على كونها شخصية ثانوية أو مجرد موضوع، بل يُظهرها كفاعل رئيسي في تشكيل القيم والمفاهيم التي تحدد الهوية.^(١)

وتُعتبر المرأة الحبيبة رمزاً للعاطفة والحنان، حيث تجسد العلاقات الإنسانية العميقة التي تُشكل جزءاً أساسياً من الهوية، ومن خلال استكشاف هذه الأبعاد المختلفة، يُمكن فهم كيف تُساهم المرأة في تشكيل الهوية الفردية والجماعية، مما يُعزز من أهمية دورها في المجتمع، وإن تناول الهوية من خلال عدسة المرأة يُظهر كيف أن الأدب يمكن أن يكون وسيلة فعالة لفهم التحديات الاجتماعية والثقافية، ويُعزز من أهمية دور المرأة في تشكيل الهوية الإنسانية.^(٢)

• المرأة كرمز للسلام في المنجز الأدبي للدكتورة خالدة خليل

تُعتبر المرأة رمزاً للسلام في العديد من الثقافات، حيث تجسد قيم التسامح والمحبة والتعاطف، وفي المنجز الأدبي للدكتورة خالدة خليل، تتجلى هذه الرمزية بشكل واضح، حيث تُبرز الكاتبة دور المرأة في بناء السلام من خلال تجاربها ومعاناتها، وإن تصوير المرأة كرمز للسلام في أعمالها يُعكس فهماً عميقاً للهوية النسائية، ويُعزز من أهمية دور المرأة في المجتمع.^(٣)

ارتقت المرأة في الحضارة العراقية القديمة إلى مكانة متميزة منذ بدايات الوعي البشري، حيث ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالأرض كمصدر للحياة والعطاء، وأصبحت تمثل رمزاً للأُمومة والرعاية والحماية، ولقد أدرك المجتمع العراقي القديم دور المرأة الحيوي، وأعطاه حقوقاً ومكانة تختلف عن تلك التي كانت تظهر في كثير من الحضارات المجاورة، ورغم سيطرة الرجل تقليدياً على الموارد والعمل البدني، كانت المرأة شريكاً فعالاً في صون الحياة اليومية، بدءاً من رعاية الأطفال وحمايتهم، إلى المشاركة في أعمال الصيد وتحضير الأدوات الضرورية للحياة، وأكدت الدراسات الأثرية أن نساء تلك الفترات لم يقتصر دورهن على النشاطات المنزلية فقط، بل كن يشاركن في مهام

(١) يُنظر: رواية العراقية صورة الوجد العراقي، حسين الكساف، الموسم للنشر والتوزيع، ٢٠١٤، ص ٢٥.

(٢) يُنظر: المرأة واللغة ثقافة الوهم مقاربات حول المرأة والجسد، عبد الله الغدامي، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ٢٠٠٠، ص ١٨٢.

(٣) يُنظر: محمد يوسف سواعد: المرأة في الأدبيات العربية المعاصرة (مصر نموذجاً)، دار زهران، عمان، ٢٠١٠، ص ٨٦.

متعددة أساسية لبقاء المجتمع.^(١)

تُظهر المصادر التاريخية أن المرأة العراقية القديمة لم تكن مجرد كيان هامشي بل فاعل اجتماعي وسياسي وثقافي، فقد برزت نساء حكيما وكاهنات ملكيات كالأميرة انخيدوانا، التي كانت من أوائل الشاعرات في التاريخ وكانت تشغل منصب الكاهنة العظمى. وكذلك الملكات مثل شبعاد وكوبا اللتين حكمتا وأدارتا شؤون بمستوى عال من الفعالية والسلطة.^(٢)

ويمكن القول إن المرأة العراقية القديمة كانت ركيزة أساسية في نشوء الحضارة، لا بل كانت مضيغة للغذاء، زوجة، أم، حارسة للمعابد، فنّانة، وسياسية، وتلعب في أدائهن المتنوع دوراً ساعد في دفع الحضارة إلى الأمام، مع الوعي العميق بأهمية الحفاظ على الأسرة والسلم الاجتماعي، وبذلك كانت المرأة في العراق القديم ليست فقط مخلوقة جسدية، بل هي رمز للخصوبة والحياة والسلام، بلغة الأيام الأولى، تعبيراً حيويًا عن الهوية الإنسانية المتعددة الأوجه في بلاد الرافدين العريق.^(٣)

تُظهر الدكتورة خالدة خليل من خلال كتاباتها كيف أن المرأة ليست مجرد ضحية للصراعات، بل هي فاعل رئيسي في تحقيق السلام، وتُعبّر شخصياتها النسائية عن رغبة عميقة في تجاوز الأزمات، مما يُعزز من فكرة أن المرأة قادرة على نشر قيم السلام في مجتمعاتها، وفي العديد من رواياتها تُصور الكاتبة النساء كقادة في عمليات السلام، حيث يسعين إلى تحقيق التفاهم والتواصل بين الأفراد.

تُعتبر هذه الشخصيات تجسيداً للقدرة على التحمل والتكيف، حيث تُظهر كيف يمكن للمرأة أن تكون قوة دافعة للتغيير الإيجابي، ومن خلال تجاربهن، يُمكن للقارئ أن يرى كيف أن النساء يُعبرن عن الأمل والتسامح، مما يُعزز من دورهن كرمز للسلام.^(٤)

تتجلى صورة المرأة كرمز للسلام في نصوص الدكتورة خالدة خليل، حيث تعكس تجاربها العاطفية والوجودية عمق الصراع الداخلي والخارجي، وفي " شريعة الشوق " بحر يَمُور على كفي - النص المفتوح "، نجد أن المرأة تمثل الأمل والهدوء وسط العواصف، كما يتضح من العبارة:

" بي وطن من أمنيات... "

وفيك عاصفة تُقايض الهدوء بالحرائق !

(١) يُنظر: "التاريخ من باطن الارض"، بهنام ابو الصوف، مطابع شركة الأديب، ٢٠٠٩، ص ٥١.

(٢) يُنظر: التاريخ من باطن الارض"، بهنام ابو الصوف، ص ٥١

(٣) يُنظر: تفكيك النص - مقاربات دلالية في نصوص منتخبة، كتاب في النقد، خالدة خليل، اتحاد الأدباء الكرد في دهوك ٢٠١١، ص ١٥.

(٤) يُنظر: "الهوية الخلقية والخلقية في تراث الجاحظ: المرأة أنموذجاً - دراسة في ضوء النقد الثقافي أحمد حياوي السعد، مجلة آداب البصرة، العدد ٨٣، ٢٠١٨، ص ٩.

ما أطول ممر هذا الليل الذي أخاله لن يوصل بين أصابعي الهائجة وأصابعك الندية !
هذا النبض قد أعلنها حرباً على أوصالي التائهة،
وأسدل ستائر الوهم عما أسميته أنت بـ «التراجيديا»^(١)

تتجلى في عبارات الدكتورة خالدة خليل صورة معبرة عن التوتر بين السلام والحرب، مما يعكس أيضاً الصراع المرتبط بالهوية، وعبرة "بي وطن من أمنيات..." تشير إلى رغبة عميقة في تحقيق السلام والاستقرار، ولكنها تتبعها جملة "وفيك عاصفة ثقايض الهدوء بالحرائق!"، مما يبرز الصراع الداخلي الذي تعاني منه الشخصية، ويُستخدم التناقض بين الهدوء والعاصفة لتصوير حالة من الفوضى والاضطراب، حيث تتداخل الأحلام مع الواقع المؤلم.

وتتناول الدكتورة خالدة خليل في أعمالها تجارب النساء في مواجهة الصراعات، سواء كانت هذه الصراعات اجتماعية أو سياسية، وتُظهر كيف أن النساء يُعانين من العنف والتمييز، ولكنهن في الوقت نفسه يُظهرن قدرة استثنائية على تجاوز هذه التحديات، كما تُعبر شخصياتها عن الألم والمعاناة، ولكنها تُبرز أيضاً الأمل والرغبة في تحقيق السلام.^(٢)

تُعتبر هذه التجارب جزءاً أساسياً من الهوية النسائية، حيث تُظهر كيف أن النساء يُمكنهن أن يُصبحن قادة في مجتمعاتهن، ومن خلال تصوير هذه التجارب، تُعزز الدكتورة خالدة من فهم القارئ لدور المرأة كرمز للسلام، مما يُساهم في تعزيز الوعي بقضايا الهوية. في النص تبرز المرأة ككائن يحمل رسالة سلام في مواجهة عواصف العنف والخراب "هشيم، وبقايا ذكرى"، فهي ترفض الانخراط في حرب الأوصال:

"أتريد يا نبضي الخافق أن تعلنها حرباً على أوصالي؟"^(٣)

وتختار بدلاً من ذلك تحويل الألم إلى إبداع:

" هذا هو عالم اليوم، مهووس بالحرب والمال والعظمة والسراب.

غادرُ أيها الألم إلى حيث فضاء البوح على ورقة صماء تتسع لكل شيء...

وأنت يا باقة ورود لهفتي هاجري إلى أحضان النص هذا، على ثورة هجرك العنيفة لتخمد الألم بين أضلاعي...

وبلبل يا قلم شفة هذه الورقة الملساء، عل نشوة ما تدب في جسد الكلمات ساعة اللقاء.

قد لا يخفى عليك أيها المتسلل إلى ثنايا قلبي أن ليس بيننا أحد...

(١) بحر يمورُ على كفي (رواية)، خالدة خليل، ص ٢٩

(٢) يُنظر: "تشظى الهوية الإنسانية في الرواية العراقية"، إسماعيل حسين جابر، مجلة مسارات، العدد ٢٧، ٢٦، (٢٠٢٢)، ص ٥٧

(٣) بحر يمورُ على كفي ("هشيم، وبقايا ذكرى")، خالدة خليل، ص ٥٥

وقد لا يخفى عليك أيضًا أنني سأرصد ذاكرتك ثانية وثالثة وعاشرة؛ بماسات جنوني...

وسأرى حاجبك يرتفعان ساعة يثلج صدرك بوحى المقطر من داليتي

سأراك وأنت ينتفض لسانك حين تخفق أجنحة أسراري وتتراقص كنحلة لحظة تقبيلها وجه زهرة".^(١)

هذا التحول من الضحية إلى المبدعة يعكس رؤية خالدة خليل للمرأة كقوة مصالحة، حيث تتحول "باقه ورود الهوى" إلى وسيط للتهدة ("لتخمد الألم بين أضلاعي" حتى في لحظات اليأس، تظل المرأة حاضنة للجمال ("سأرصد ذاكرتك... بماسات جنوني")، مما يؤكد دورها كحارسة للسلام الداخلي رغم الخارج المتعجر.

وتعكس الدكتورة خالدة خليل الصراع الداخلي بين المشاعر والعقل، مما يبرز تعقيد الهوية، والمرأة هنا تمثل القوة في مواجهة الألم، بينما تعكس مشاعر الندم والضعف في الرجل من خلال: "كُنْتُ أمدُّ عيني شوقاً لألتقط في رسالتك كلمة وصال تزيد لوعتي وشغفي بك، ولم ألتق منك سوى عبارة استئذان صادمة، بأن فطورك سيبرد مثلك !

هل كنت تهزأ بعواطفِي؟

أم تمتحن صبري وجلدي ؟

يا لدركِ، أي خنجر مسموم طعنني به حين استسلمت لخوفك وصلابتك وغرورك ؟

أكاد أختنق بالعبرات، لكنها لن تُظهر قلبي المُذنب والمتأرجح بين التوبة وعصيان العقل.

فتحت الباب على مصراعيه، وكل النوافذ المغلقة حولي؛ لكي أخلص من عطرك الذي ملأ الرئتين حد الهذيان، ولأعبر لك جهرًا بأنني قد اشتريتُ ودك حقًا... لكن ذلك لا يعني قطعًا أنني قد بعْتُ قلبي".^(٢)

تكشف خالدة خليل عن الصدع العميق في العلاقة الإنسانية من خلال ثنائية العقل والعاطفة، المرأة هنا تتحول إلى حقل معركة وجودية، حيث يتجاذبها الشوق ("أمد عيني شوقاً") والصدمة ("عبارة استئذان صادمة")، وهذا التناقض لا يعكس مجرد أزمة عاطفية، بل يشير إلى أزمة هوية أعمق، حيث تتصارع الذات بين منطق القلب ومنطق العقل.

• المرأة الحبيبة (الهوية في المنجز الأدبي للدكتورة خالدة خليل)

تظهر المرأة الحبيبة ليس فقط كشخصية عاطفية، بل ككيان يحمل أبعادًا وجودية ووطنية، تعكس رؤية الدكتورة خالدة خليل للهوية الأنثوية في سياق الأزمات السياسية والاجتماعية، والمرأة الحبيبة في نص "حمى تشرين" تتجلى ككيان متعدد الأبعاد، يحمل في طياته أعماق إشكاليات الهوية في ظل الأزمات السياسية والاجتماعية، فهي ليست مجرد شخصية عاطفية، بل تتحول إلى حافظة للذاكرة الجمعية، شاهدة على الدمار،

(١) بحر يمورُ على كفي ("هشيم، وبقايا نكري")، خالدة خليل، ص ٥٦

(٢) بحر يمورُ على كفي ("قلب عن صهوة الحب يترجل")، خالدة خليل، ص ٦١

وضحية للغدر المزدوج، وكاتبة للرماد، ورمز للأرض المغتصبة، ومن خلال هذا النص تبرز الدكتورة خالدة خليل رؤيتها للهوية الأنثوية كفضاء مرن يتقاطع فيه الشخصي مع الوطني، والعاطفي مع السياسي.^(١) تظهر الحبيبة أولاً كحافظة للذاكرة، حيث تقول:

"كنت تتماثل للشقاء من ماضيك، تروي لي وحسرتك تقفز أسوار الروح".^(٢)

تتحول المرأة إلى مستودع يحوي ألم الذكرى الفردية والجماعية، محولة إياها إلى سرد مشترك، وهذا الدور يتوافق مع رؤية خالدة خليل للهوية الأنثوية كناقل للتراجيديا التاريخية، خاصة في سياق الأدب العراقي الذي يعاني من ويلات الحروب والصراعات.

ثم تتحول الحبيبة إلى شاهد عيان على الدمار، كما في عبارة:

"أهرع نحو أحضانك، وأنا أنظر إلى الخراب حولي، بعيني طفلة ما زالت تعيش براءة الظنون".^(٣)

هذا التناقض بين براءة الطفولة وقسوة الواقع يعكس الهوية المزدوجة للمرأة العراقية في أعمال خالدة خليل، حيث تجمع بين الحب كفعل مقاومة والخراب كواقع مفروض، وإنها هوية تتأرجح بين الأمل واليأس، بين الحلم والواقع المرير.

لا تكتفي الحبيبة بأن تكون شاهدة، بل تتحول إلى ضحية للغدر المزدوج: "فلا عادت إليك هي... ولا عدت أنت إلي"، وهنا تكمن المأساة الإنسانية، حيث تخسر المرأة حبيبها مرتين: مرة لانشغاله بالثأر الوطني (الحبيبة الأزلية المتمثلة في الوطن)^(٤)، ومرة لغيابه الأبدي، وهذا المشهد يعكس رؤية خالدة خليل لأدب ما بعد ٢٠٠٣، حيث نُضحى العلاقات الفردية على مذبح الهوية الجماعية، في عملية قاسية من الانزياحات الهويةية.

لكن الحبيبة لا تقف عند حدود الضحية، بل تتحول إلى كاتبة للرماد:

"تكتب عنها نحن الحالمون بتأجيح شعلة الحياة... قصتنا تتحول إلى رماد".^(٥)

هنا تبرز المرأة كراوية تخلد الألم عبر الكتابة، محولة التجربة الشخصية إلى نص أدبي، وهذا الدور يتقاطع مع رؤية خالدة خليل للأدب النسوي كفعل مقاومة، حيث يصبح الحب مدخلاً لسرد الوجد الجمعي، والكتابة وسيلة للحفظ والتوثيق.

تتحول الحبيبة إلى رمز للأرض المغتصبة:

(١) يُنظر: "الهوية الثقافية العراقية في رواية "الماسة في البرية" لسامي ميخائيل"، أشرف عبدالعليم عطية الشرقاوي، مجلة مركز

الخدمة للإستشارات البحثية، المجلد ١٩، الإصدار ٥٥، (٢٠١٧)، ص ١٥

(٢) بحر يمور على كفي (رواية)، خالدة خليل، ص ٣٣

(٣) بحر يمور على كفي (رواية)، خالدة خليل، ص ٣٤

(٤) يُنظر: الهوية العراقية الممزقة وإشكالاتها في رواية عازف الغيوم لعلي بدر"، غصون عزيز ناصر، ص ٢٢٥

(٥) بحر يمور على كفي (رواية)، خالدة خليل، ص ٣٦

"تبحث عن وطن... عن الثأر من مغتصبي حبيبتك الأزلية".^(١)

في هذه العبارة تذوب الحدود بين الحبيبة والوطن، بين العاطفة الفردية والانتماء الجماعي، وهذا التجسيد يعكس أحد المحاور الأساسية في أعمال خالدة خليل، حيث تصبح المرأة مرآة تعكس أزمات الهوية الوطنية في ظل الاحتلال والصراعات الداخلية.

بهذا الشكل، تقدم الدكتورة خالدة خليل رؤية متكاملة للمرأة الحبيبة ككيان معقد يحمل في داخله تناقضات الهوية في زمن الأزمات، ومن خلال هذا التحليل، نستطيع أن نلمس عمق الرؤية النقدية للدكتورة خالدة خليل، التي تضع المرأة في قلب إشكاليات الهوية، كفاعلة ومفعول بها، كضحية ومقاومة، كحافظة للذاكرة وكاتبة للمستقبل، إنها هوية لا تستقر على حال، بل تظل في حركة دائمة بين الأقطاب المتعارضة، تماماً كالحب نفسه الذي يجمع بين النعيم والشقاء.

• المكان بوصفه هوية (الهوية في المنجز الأدبي للدكتورة خالدة خليل)

المكان هو البيئة التي يعيش فيها الإنسان، وهو الذي يمنح الشخصيات ملامحها النفسية والثقافية، فكل مكان يحمل سماته الخاصة، ويحدد سمات الأفراد الذين يعيشون فيه، لذلك فإن التحديد المكاني يُعتبر عنصراً أساسياً في بناء الأحداث القصصية، حيث يمنحها المعقولة والمنطقية والقدرة على الإقناع.

ويمكن القول إن المكان والهوية هما عنصران متداخلان في الأدب العربي، فالمكان لا يُشكل فقط خلفية للأحداث، بل هو جزء لا يتجزأ من الهوية الثقافية والنفسية للأفراد، ومن خلال فهم هذه العلاقة، يمكننا أن ندرك كيف يعكس الأدب تجارب المجتمعات ويعبر عن تطلعاتها وآمالها.^(٢)

• المكان المفتوح (الهوية في المنجز الأدبي للدكتورة خالدة خليل)

يتجاوز المكان المفتوح في رؤية خالدة خليل المفهوم المادي ليصبح نصاً مفتوحاً يُقرأ من خلاله تشكل الهوية، فالساحات العامة تتحول إلى حاضنات للذاكرة الجمعية، بينما تمثل "طرق العشق الجديد" مسارات متجددة للهوية التي تنتقل بين الأجيال، وهذا الفضاء المتناقض - الذي يجمع بين العنف والسلطة وإصرار المحتجين - يعكس الإشكالية العميقة للهوية العراقية، التي تتأرجح بين الوحدة والانقسام، بين الانتماء والاغتراب، وهكذا يصبح المكان المفتوح مرآة عاكسة لأزمات الهوية، وورشة دائمة لإعادة تشكيلها في مواجهة محاولات القمع والإقصاء.^(٣)

يعكس المكان المفتوح رؤية الدكتورة خالدة خليل للهوية باعتبارها كياناً ديناميكياً يتشكل في الفضاء العام،

(١) بحر يمور على كفي (رواية)، خالدة خليل، ص ٥٤

(٢) يُنظر: "المكان: هوية الإنسان وسياقه الفضائي"، غسان مراد، مجلة دراسات جامعية في الآداب والعلوم الإنسانية، العدد ٣، (٢٠٢٠)، ص ٢.

(٣) يُنظر: البنية السردية عند الطيب صالح البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال، عمر عاشور، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ٢٠١٠، ص ٣٠.

بينما يعمل المكان المغلق على حصار هذه الهوية وكبت حريتها، كما سنتتبع الدلالات الرمزية للمكان في تشكيل الذاكرة الجمعية والصراع بين التحرر والقمع.

أ- المدينة عند خالدة خليل:

تظهر المدينة في نصوص خالدة خليل كمساحة تعكس شعور الاغتراب والفقد، والشخصيات غالباً ما تعاني من الانفصال عن هويتها، حيث تصبح المدينة مكاناً يفتقر إلى الأمان والسكينة، كما يتجلى هذا الاغتراب في تجارب الشخصيات التي تعيش في بيئات مليئة بالصراعات، مما يعكس تأثير الظروف الاجتماعية والسياسية على الهوية الفردية.

تستخدم المدينة كرمز للصراعات الداخلية والخارجية، وفي العديد من النصوص، تُصوّر المدينة كمساحة تتقاطع فيها الحروب والأزمات، مما يؤدي إلى تدمير العلاقات الإنسانية، ويعكس هذا الصراع كيف أن المدينة يمكن أن تكون مكاناً للدمار، ولكن أيضاً مكاناً للأمل والتغيير.

ويظهر جليلاً فيمن خلال ذكريات طفولتها ويتضح ذلك من خلال:

"في طفولتي كان أبي يهرب بي من أحضان مدينة أصابتها عدوى الضياع، إلى أخرى تقصفها الطائرات، لثُمَّرَق ثوب مساءاتنا الهادئة، بعد أن تُفرغ غضبها فوق جبال ووديان عميقة في ذات الزمن المتقيح، حتى ضفادع الماء المطروحة على ضفاف دجلة الحزن والأسماك المنتحرة الخياشيم؛ لم تكن تجيد سوى لغة واحدة وهي موت الاختلاف.

وعندما بلغت؛ لم أصدق ما قالوه، لم أثق بكتب التاريخ وهي تسرق منا إنسانيتنا وتقسّمنا أنواعاً. وكيف أثق بسيرة هي من صنع مخيلة مُنتصر متبجح، وهل كانت أكثر من نصوص أجاد مُدَوّنوها تقمص الأدوار؟"^(١)

تبدأ بتصوير مؤلم للطفولة "في طفولتي كان أبي يهرب بي من أحضان مدينة أصابتها عدوى الضياع، إلى أخرى تقصفها الطائرات"، حيث يُظهر الأب كرمز للحماية، لكنه في الوقت نفسه يُجسد الفشل في توفير الأمان، و"عدوى الضياع" تعكس حالة من الفوضى والاضطراب، مما يشير إلى تأثير الظروف الاجتماعية والسياسية على الهوية. الانتقال من مدينة إلى أخرى "تقصفها الطائرات" يعكس واقع الحرب والعنف، مما يخلق شعوراً بالانفصال والاضطراب، وهذا التناقض بين الهروب من مكان ضائع إلى آخر مليء بالدمار يعكس الصراع الداخلي الذي تعيشه الشخصية، ويعبر عن فقدان الهوية في ظل الظروف القاسية.^(٢)

(١) بحر يَمُورُ على كفي ("سندباد اختطفته غفوة")، خالدة خليل، ص ٧٠

(٢) يُنظَر: "جغرافيا الهوية: المكان والذاكرة في الفن الفلسطيني المعاصر"، تينا شيرول، مجلة الآداب، العدد ٢، ١، (٢٠٠٤)، ص ٧٤.

ب. المدينة كنسيج هوياتي متعدد

لا يقتصر المكان المفتوح على الساحات فحسب، بل يمتد ليشمل المدن التي تتحول إلى كيانات حية تحمل شفرات الهوية:

- "الوسط والجنوب": يشيران إلى الجغرافيا السياسية للهوية العراقية، حيث تتنازعها الانقسامات والوحدة في آنٍ واحد.
- "الشارع كحقل صراع": بين الرصاص والصراخ، بين القمع والتحرر، مما يعكس إشكالية الهوية في ظل العنف السياسي.

ج. الطرقات

تمثل "طرقات العشق الجديد" في النص فضاءً مفتوحاً لولادة هويات متغيرة:

"وسرعان ما ينثرونه في طرقات عشق جديد قد بدأ في حياتهم للتو".^(١)

تمثل "طرقات العشق الجديد" في النص فضاءً ديناميكياً يعكس تحولات الهوية في ظل التجارب الثورية، وهذه الطرقات ليست مجرد ممرات مادية، بل تتحول إلى مسارات رمزية تحمل دلالات عميقة حول استمرارية الهوية وتجدها، فكما تنثر الرياح رماد الماضي في هذه الطرقات، وتنتقل التجارب الثورية من جيل إلى آخر، محافظةً على جوهرها مع اكتساب أبعاد جديدة، وتعكس هذه الصورة قدرة الهوية الجمعية على التجدد رغم المحن، حيث لا تتقطع سلسلة النضال بل تتناسخ في أشكال متطورة تتناسب مع كل مرحلة.

المكان المفتوح المنجز الأدبي للدكتورة خالدة خليل

تتجلى رمزية المكان المفتوح في "رواية أشرعة الهراء" من خلال تصوير "أرض بابل وأشور"، حيث تمثل هذه الأرض تاريخاً عريقاً وحضارة غنية، لكنها أيضاً تحمل في طياتها معاناة وألم، كما تعكس عبارة "أم حواسم أنجبت مرات" كيف أن هذه الأرض كانت مسرحاً للولادة والنمو، لكنها أيضاً كانت مكاناً للمعاناة، حيث أنجبت "آلاف الجنود المهزومين"، وهذا التناقض بين الحياة والموت بين الأمل واليأس، يعكس الصراع المستمر الذي تعيشه الشخصيات.^(٢)

تظهر رمزية المكان المفتوح في رواية "أشرعة الهراء" كفضاء للحرية والتغيير، حيث يمثل انفتاح الأفق إمكانية الهروب من قيود الواقع، كما يعكس هذا المكان التوق إلى الحياة والبحث عن الهوية، مما يتيح للشخصيات استكشاف آمالهم وأحلامهم بعيداً عن ضغوط المجتمع.

"هذا هو سأم بغداد يا صديقي فهل من (بودلير)؟"

(١) بحر يموّر على كفي (نزع لحظة)، خالدة خليل، ص ٤٠

(٢) يُنظر: البنية السردية عند الطيب صالح البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال، عمر عاشور، ص ٣٠.

مسرحية لا تنتهي فصولها حتى يموت ممثليها الذين يتجلدون كل ربع ثانية أو نصف ثانية، يتعلمون فن الجلد منذ الصرخة الأولى حين يتنشقون أول شهقة أوكسجين ممزوجة برائحة بارود وحين تتسلق أمنياتهم سلم حياة باردة ترتطم بها كرة ثلجية قادمة من شناسيل ابنة الجلبي.^(١)

تعكس "هذا هو سأم بغداد يا صديقي فهل من (بودلير)؟" شعورًا عميقًا باليأس والإحباط، وتشير المسرحية التي لا تنتهي إلى دورة الحياة المرهقة التي يعيشها الأفراد، حيث يتعرضون للمعاناة المستمرة، ويتعلمون "فن الجلد" منذ لحظة ولادتهم، مما يعكس قسوة الواقع الذي يحيط بهم، ورائحة البارود وأمنياتهم المتساقطة تحت وطأة الحياة الباردة تعكس الصراع الداخلي الذي يعيشه الشخصيات، مما يجعل من بغداد مكانًا مزدحمًا بالذكريات والأحلام المكسورة، في حين يبقى الأمل في الفضاء المفتوح كملاذ بعيد.

تصبح رائحة البارود رمزًا للدمار والفوضى، بينما تمثل الأمنيات المتساقطة تحت وطأة الحياة الباردة الأمل المفقود، وتعكس هذه العناصر الصراع الداخلي الذي يعيشه الشخصيات، حيث تتداخل الذكريات والأحلام المكسورة في نسيج حياتهم اليومية، ومع ذلك يبقى الفضاء المفتوح كملاذ بعيد، يمثل الأمل في التحرر من القيود والبحث عن حياة جديدة، مما يبرز التوتر بين الواقع المرير والرغبة في التغيير.

• المكان المغلق (الهوية في المنجز الأدبي للدكتورة خالدة خليل)

المكان المغلق في أعمال الدكتورة خالدة خليل يُعتبر عنصرًا مركزيًا يعكس الصراعات النفسية والاجتماعية التي تعاني منها الشخصيات، ومن خلال تصوير هذا المكان كرمز للقيود والاعترا، تُبرز خالدة خليل كيف أن الهوية تتشكل في سياق الظروف الاجتماعية والسياسية، وتعكس النصوص عمق التجربة الإنسانية، حيث يُظهر المكان المغلق كيف يمكن أن يكون حاضنًا للألم، ولكنه أيضًا نقطة انطلاق نحو التحرر والتغيير.^(٢)

المكان المغلق في نصوص الدكتورة خالدة خليل يُعتبر رمزًا للقيود النفسية والاجتماعية التي تعاني منها الشخصيات، كما يُعبر عن حالة من الانغلاق والاختناق، حيث يصبح المكان المغلق تجسيدًا للضغوطات التي تؤثر على الهوية الفردية، وهذا المكان يمكن أن يكون غرفة، منزلًا، أو حتى مدينة، ويعكس شعور الشخصيات بالعزلة والاعترا، ويظهر ذلك من النص ("سندباد اختطفته غفوة"):^(٣)

"وعندما بلغت؛ لم أصدق ما قالوه، لم أثق بكتب التاريخ وهي تسرق منا إنسانيتنا وتقسّمنا أنواعًا، وكيف أثق بسيرة هي من صنع مخيلة مُنتصر متبجح، وهل كانت أكثر من نصوص أجاد مُدُونوها تقمص الأدوار؟

(١) أشرعة الهراء (رواية)، خالدة خليل، ص ١٠

(٢) يُنظر: "المكان وتحولات الهوية عند محمود درويش" رسالة ماجستير، ليانة عبدالرحيم كمال عبد ربه، جامعة بيرزيت، بيرزيت، ٢٠١٢، ص ٢٥.

(٣) "الهوية وتجلياتها السردية في اعمال اميل حبيبي" رسالة ماجستير، يوسف حسين محمود حمدان، الجامعة الاردنية، عمان، ٢٠٠٧، ص ٣٥.

خشبة مسرح هي الحياة يا حبيبي، وعلينا إجادة الدور أمام متفرج واحد يرتدي ثوب قدر. أنت مازلت في عصرك الرجعي، تند الحقيقة كلما وُلدت، خوفاً من أن تنبت لها قرون فتصرعك وترمي بك إلى أحضاني.

دفت حبك في رمال النفس المتقلبة، وقتلت صرخاته المتكررة في عينيك.

هنيئاً لك...^(١)

المكان المغلق: يُعتبر تجسيدا للقيود النفسية والاجتماعية التي تعاني منها الشخصيات، كما يُعبر عن حالة من الانغلاق والاختناق، حيث يصبح المكان رمزاً للضغوطات التي تؤثر على الهوية الفردية، ومن خلال استخدام تعبيرات مثل "خشبة مسرح هي الحياة"، تُظهر خالدة خليل كيف أن الحياة تُشبه مسرحية تُفرض فيها أدوار معينة على الأفراد، مما يعكس شعور الشخصيات بالعزلة والاغتراب.

تظهر الشخصية في حالة من الاغتراب والقلق، حيث تعبر عن عدم الثقة في "كتب التاريخ" التي "تسرق" منا إنسانيتنا، وهذا الشك يعكس الصراع الداخلي الذي تعيشه الشخصية، حيث تشعر بأنها محاصرة بين روايات تاريخية مفروضة عليها وبين رغبتها في استعادة هويتها الحقيقية، والمكان المغلق هنا يُعبر عن عدم القدرة على الهروب من هذه الروايات المفروضة، مما يؤدي إلى شعور بالعجز والضعف.

المكان المغلق في نص "سندباد اختطفته غفوة" يُعتبر عنصراً مركزياً يعكس الصراعات النفسية والاجتماعية التي تعاني منها الشخصيات، ومن خلال تصوير هذا المكان كرمز للقيود والاغتراب، تُبرز خالدة خليل كيف أن الهوية تتشكل في سياق الظروف الاجتماعية والسياسية، ويعكس النص عمق التجربة الإنسانية، حيث يُظهر المكان المغلق كيف يمكن أن يكون حاضناً للألم، ولكنه أيضاً نقطة انطلاق نحو التحرر والتغيير.

والمكان المغلق في "سندباد اختطفته غفوة" يُعتبر عنصراً مركزياً يعكس الصراعات النفسية والاجتماعية التي تعاني منها الشخصيات، ومن خلال تصوير هذا المكان كرمز للاغتراب والقلق، تُبرز خالدة خليل كيف أن الهوية تتشكل في سياق الظروف الاجتماعية والسياسية، ويعكس النص عمق التجربة الإنسانية، حيث يُظهر المكان المغلق كيف يمكن أن يكون حاضناً للألم، ولكنه أيضاً نقطة انطلاق نحو التحرر والتغيير.^(٢)

تظهر الشخصيات في المكان المغلق كأفراد يعانون من الاغتراب والقلق، وهذا المكان يُعبر عن عدم القدرة على الهروب من الواقع، مما يؤدي إلى شعور بالعجز والضعف، والشخصيات غالباً ما تجد نفسها محاصرة بين جدران المكان، مما يعكس الصراع الداخلي الذي تعيشه، وهذا الاغتراب يُظهر كيف أن الظروف الاجتماعية والسياسية يمكن أن تؤثر على الهوية وتخلق شعوراً بالانفصال عن الذات ويظهر ذلك من خلال ("سندباد اختطفته

(١) بحر يموّر على كفي ("سندباد اختطفته غفوة")، خالدة خليل، ص ٧١

(٢) يُنظر: المكان ودلالاته في رواية مدن الملح، صالح ولعة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٠، ص ٥١

غَفوة":

"على ضفاف يوم آخر، كعادتي أقفُ مهووسة في رسم حلم غارق فيك... وتقف أنت في الضفة الأخرى قبال حضارة شاحبة، يفصلني عنك نهرُ حُزن عميق، قد نغرق فيه إن حاولنا العبور أنظر إليك، وأدعوك لسماع لحن جوالٍ صادر من دهاليز قلبي... فيما تدعوني أنت لسماع أصوات القنابل ! هو الاختلاف بين أوجه الحضارة يا صديقي." (١)

تظهر الدكتورة خالدة خليل الشخصيات كأفراد يعانون من الاغتراب والقلق، حيث يُعبر المكان المغلق عن عدم القدرة على الهروب من الواقع، وتعكس العبارة "يفصلني عنك نهرُ حُزن عميق" شعورًا بالانفصال عن الآخر، مما يُبرز الصراع الداخلي الذي تعيشه الشخصية، والنهر هنا ليس مجرد حاجز مادي، بل هو تجسيد للألم والفقد الذي يعيق التواصل، مما يعكس كيف أن الظروف الاجتماعية والسياسية تؤثر على الهوية وتخلق شعورًا بالانفصال عن الذات.

تتجلى هذه الثنائية في النص من خلال التناقض بين "رسم حلم غارق فيك" و"أصوات القنابل"، بينما تعبر الشخصية عن رغبتها في التواصل والتعبير عن مشاعرها من خلال "لحن جوالٍ صادر من دهاليز قلبي"، يُظهر الآخر (الصديق) واقعًا مغايرًا يتمثل في العنف والدمار، ويُظهر هذا التباين كيف أن الأمل في الحب والتواصل يمكن أن يتعارض مع واقع الحرب والصراع، مما يعكس الصراع الداخلي الذي تعيشه الشخصيات. (٢)

تُبرز العبارة "حضارة شاحبة" كيف أن الظروف السياسية والاجتماعية تؤثر على الهوية الثقافية، والحضارة هنا تُظهر تدهورًا وفقدانًا للمعنى، مما يعكس كيف أن الصراعات تؤدي إلى تآكل القيم الإنسانية، ويُعبر هذا التدهور عن حالة من الاغتراب، حيث تصبح الهوية مرتبطة بالمعاناة والفقد، مما يُعزز الشعور بالعجز والضعف. تستخدم خالدة خليل لغة شعرية غنية بالصور المجازية، حيث تعكس مشاعر الشخصيات من خلال الصور الحسية، و"لحن جوال" و"أصوات القنابل" تعكسان التوتر بين الجمال والفوضى، مما يُظهر كيف أن اللغة يمكن أن تكون وسيلة للتعبير عن الألم والحنين، ويُعزز هذا الاستخدام للغة من عمق التجربة الإنسانية ويعكس الصراع بين الرغبة في الحب والواقع القاسي.

على الرغم من القيود التي يفرضها المكان المغلق، يُظهر النص كيف يمكن أن يكون هذا المكان أيضًا نقطة انطلاق للتغيير، ومن خلال مواجهة الصراعات الداخلية والخارجية، يمكن للشخصيات أن تجد طرقًا جديدة

(١) بحر يمورُ على كفي ("سندباد اختطفته غَفوة")، خالدة خليل، ص ٧١

(٢) يُنظر: "جدل الهوية والمكان: حساسية الوجدان الوطني في القصيدة العربية: شعر محمد صابر عبيد إنموذجا"، مولود مرعي

حسن صالح الويس، ص ١٨.

للتعبير عن هويتها، ويُظهر هذا التحول كيف أن الألم يمكن أن يؤدي إلى النمو والتطور، حيث تُظهر الشخصية قدرتها على مواجهة مشاعرها والتعبير عنها. (١)

• الزمن بوصفه هوية (الهوية في المنجز الأدبي للدكتورة خالدة خليل)

يُعتبر الزمن عنصراً محورياً في تشكيل الهوية الإنسانية، حيث يتداخل الماضي والحاضر والمستقبل ليشكلوا نسيج التجربة الفردية والجماعية، وإن فهم الزمن كهوية يتجاوز مجرد قياس الساعات والأيام، ليصبح إطاراً يعكس كيف تؤثر التجارب التاريخية والثقافية على تشكيل الذات، فالماضي يحمل في طياته ذكريات وأحداث تشكل أساس الهوية، حيث تُعتبر التجارب السابقة مرجعاً يُستند إليه في فهم الحاضر وتوجيه المستقبل. (٢)

يمثل الحاضر ساحة التفاعل والتغيير، حيث تتشكل القرارات والاختيارات التي تحدد مسارات الحياة، وفي هذه اللحظة الزمنية يتفاعل الأفراد مع واقعهم، مما يتيح لهم فرصة إعادة تقييم هويتهم وتجاوز قيود الماضي، وإن الحاضر هو المكان الذي تُختبر فيه القيم والمعتقدات، حيث يمكن للأفراد أن يختاروا كيف يريدون أن يُعرفوا، مما يعكس ديناميكية الهوية ككيان متغير يتأثر بالتجارب اليومية.

أما المستقبل، فيمثل الأمل والتطلعات، حيث يسعى الأفراد إلى تحقيق أحلامهم وتجاوز التحديات التي تواجههم، وإن الرؤية المستقبلية تُعزز من شعور الهوية، حيث تُشكل الأهداف والطموحات جزءاً من الكينونة الإنسانية، ومن خلال هذا التفاعل الديناميكي بين أبعاد الزمن، تتجلى الهوية ككيان متكامل، يتأثر بالتجارب ويعكس الصراعات والتطلعات الإنسانية، مما يجعل الزمن عنصراً أساسياً في فهم الذات والمجتمع. (٣)

• الماضي بوصفه هوية (الهوية في المنجز الأدبي للدكتورة خالدة خليل)

يُشكل الماضي في أعمال خالدة خليل نسيجاً حيواً للهوية الفردية والجمعية، حيث يتحول من مجرد أحداث منتهية إلى قوة فاعلة في الحاضر، ولا يظهر هذا الماضي كخط زمني مستقيم، بل كطبقات متداخلة من الذكريات التي تطفو على سطح الوعي في لحظات مفصلية، والشخصيات عند الدكتورة خالدة خليل تحمل ماضيها كحقيبة وجودية، تفتحها عند كل منعطف لتستخرج منه أدوات فهم الذات والعالم، وفي نص "سندباد اختطفته غفوة"، نجد الذاكرة "محشوة برصاصات غدر"، مما يكشف كيف يتحول الماضي إلى جسد مثقل بندوب لا تتدمل. (٤)

"كنتُ قادمة نحوك من عمق دهاeliz خوف، بفستان مُرقع بذكريات أليمة، وذاكرة محشوة برصاصات غدر، ويومها

(١) يُنظر: البنية السردية عند الطيب صالح البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال، عمر عاشور، ص ٣٥.

(٢) يُنظر: "الهوية وتجلياتها السردية في أعمال اميل حبيبي" رسالة ماجستير، يوسف حسين محمود حمدان، ص ٦٧.

(٣) يُنظر: "تخييل الزمن الكولونيالي: ازدواجية الخطاب وتمزقات الذات والهوية في رواية "ما يدين به النهار ليل" لياسمينه خضرا"،

عبدالله شطاح، مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، المجلد ٥، العدد ٢١، (٢٠١٧)، ص ٨١

(٤) يُنظر: "صراع الهوية وأشكال العنف في رواية خرفان المولى لياسمينه خضرا"، فيصل نوي، مجلة لغة، مجلة كلام، المجلد ٧،

مَدَّ حنيني أصابعه لتشتبك بأصابع حنينك

ويومها تسربت من بينها سنوات وسنوات....^(١)

تظهر الذاكرة في كتابات خليل كأداة مقاومة ضد النسيان والانكسار، والشخصيات التي تواجهها خليل لا تستحضر الماضي للبكاء عليه، بل لاستخلاص قوة المواجهة منه، وفي نص "قل لي: أحبك"، نجد العبارة "أحسي غنائم غزواتك" التي تحول الذكريات المؤلمة إلى سجل محاسبة، وهذا التحويل يجعل من الذاكرة أرشيفاً حياً، حيث تتحول "رمال النفس المتقلبة" إلى وثائق إثبات ضد محاولات طمس الهوية.

"أنت حطمت تمثالك داخلي بمعول كراهيتك... ثم أعدت قلبي المرهف إلى شرنقته، التي لن يغامر بالخروج منها مرةً أخرى إلى عالم أفاك وآثم.

قل لي: أحبك.

ألم تدريكي بعد ؟

بلى، ولكن ليطمئن قلبي. " ^(٢)

تخلق خالدة خليل حواراً عميقاً بين التاريخ الفردي والتاريخ الجمعي، حيث تصبح سير الشخصيات جزءاً من سيرة الجماعة، و"نطف تاريخ ثمل" في أحد نصوصها لا تمثل فقط ماضي شخصية معينة، بل تعكس تخطبات أمة بأكملها في البحث عن هويتها، ويظهر هذا التداخل كيف أن الهوية الفردية تنغرس في تربة الماضي الجمعي، وتتشكل من خلال التفاعل مع أحداث كبرى تتجاوز الفرد.

"بقيت لحي ذلك المعبد المقدس من كاتدرائية الخوف، يُمشطها ويسرح خصلاتها بين لحظة ولحظة مرتزقته ومريدوه يضحكون به على العوانس والثائبات واللقطاء من نُطف تاريخ ثمل، حيث يتبركون بشد شعرة من هذه اللحي لباقية أمانيتهم التي ذبلت بعد اقتطاف أعناقها. ^(٣)

وأنت يا صديقي الحميم.. لو لم تكن جزءاً مني، ما كان الغدر سينبش أحشاء حرفي، وما كان للقلم أن ينزف من بئر حزن لا يجف وما كان لهجرك أن يئد أنوثة حلمي. " ^(٤)

تعامل خليل مع الماضي كمختبر تُختبر فيه إمكانات الهوية، والشخصيات تمر عبر "دهاليز الخوف" في ماضيها لتكتشف حدود قوتها وضعفها، وفي نص "ما زلت تلك الحسناء"، نجد "مرآة صدئة" تعكس عملية تشويه الهوية عبر الزمن، لكنها في الوقت نفسه تظل أداة لاكتشاف الذات رغم التشوهات، وهذا التناقض بين الصدا

(١) بحر يموؤ على كفي ("سندباد اختطفته غفوة")، خالدة خليل، ص ٧٠

(٢) بحر يموؤ على كفي ("سندباد اختطفته غفوة")، خالدة خليل، ص ٧٠

(٣) "الهوية وتجلياتها السردية في اعمال اميل حبيبي" رسالة ماجستير، يوسف حسين محمود حمدان، ص ٧٠.

(٤) أشرة الهراء (رواية)، خالدة خليل، ص ٥١

والرؤية يجعل من الماضي مساحة للتجريب الذاتي.

• الحاضر بوصفه هوية (الهوية في المنجز الأدبي للدكتورة خالدة خليل)

تؤكد الدكتورة خليل على أن الهوية في الحاضر تتشكل من خلال شبكة معقدة من التفاعلات والعلاقات مع الآخرين ومع المحيط الاجتماعي والثقافي، والفرد ليس كياناً منعزلاً، بل هو جزء من سياقات متعددة تؤثر في فهمه لذاته وتحديد موقعه في العالم، وهذه التفاعلات الحاضرة سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة، تشكل مصدراً مستمراً للتأثير على الهوية وتطورها، فمن خلال الحوار مع الآخرين، والانخراط في الأنشطة الاجتماعية والثقافية، ومواجهة التحديات والصراعات في الحياة اليومية، يكتسب الفرد وعياً أعمق بذاته وبموقعه في العالم، وتساهم هذه التجارب الحاضرة في بناء هوية متعددة الأوجه، لا تقتصر على بعد واحد أو انتماء واحد، بل تتشكل من تفاعلات متنوعة مع مختلف جوانب الحياة، وفي هذا السياق يصبح الحاضر بمثابة مختبر للهوية^(١)، حيث يتم اختبار القيم والمعتقدات والاتجاهات، وتتطور الذات من خلال عملية مستمرة من الأخذ والعطاء مع العالم الخارجي، وإن قدرة الفرد على التكيف مع هذه التفاعلات الحاضرة، وعلى استيعاب التنوع والاختلاف، تلعب دوراً حاسماً في بناء هوية مرنة وقادرة على الازدهار في عالم متغير، فالحاضر ليس مجرد زمن نعيشه، بل هو مساحة للتفاوض المستمر مع الذات والآخرين حول معنى الهوية وحدودها وإمكانياتها.

تري الدكتورة خليل أن اللغة التي يستخدمها الفرد في الحاضر ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي أداة قوية لإعادة تعريف الذات وبناء الهوية المنشودة، فاللغة تحمل في طياتها تاريخاً من المعاني والدلالات، ولكن في اللحظة الحاضرة، يمتلك الفرد القدرة على استخدام هذه اللغة بطرق جديدة ومبتكرة للتعبير عن فهمه الحالي لذاته وللعالم، ومن خلال اختياراته اللغوية، وأساليب تعبيره، وسرده لتجاربه الحاضرة، يقوم الفرد ببناء صورة ذاتية جديدة تتجاوز القيود اللغوية أو الاجتماعية الموروثة، وإن القدرة على صياغة التجارب الحاضرة بلغة تعكس رؤيته الخاصة للعالم هي جوهر بناء هوية أصيلة ومستقلة، فالشخصيات في منجز الدكتورة خليل غالباً ما تنخرط في عملية واعية لاستخدام اللغة بطرق غير تقليدية، لتحدي المفاهيم السائدة وإعادة تعريف ذواتها في ضوء تجربتها الحاضرة، وهذه العملية اللغوية الحاضرة ليست مجرد وصف للواقع، بل هي فعل إبداعي يساهم في تشكيل الهوية وبناءها، وإن امتلاك اللغة والقدرة على استخدامها بوعي وحرية في الحاضر يمثل خطوة حاسمة نحو تحقيق الاستقلالية الذاتية وبناء هوية تعبر عن حقيقة الفرد وتطلعاته، فالحاضر هو زمن اللغة الحية والمتجددة، القادرة على حمل معاني جديدة وتشكيل هويات مبتكرة.^(٢)

(١) يُنظر: "المكان والزمان في رواية النبطي: دراسة تحليلية"، منتهى طه الحراحشة، مجلة كلية الآداب، المجلد ٧٤، الجزء ٤، (٢٠١٤)، ص ١٠١.

(٢) يُنظر: بنية الشكل الروائي الفضاء الزمن الشخصية، حسن بحراوي، ص ١٣٧.

تؤكد الدكتورة خليل على أن الحاضر، بما يحمله من إمكانيات للفعل والاختيار والتفاعل، يمثل مساحة حيوية للأمل والتغيير وإعادة بناء الهوية المستقبلية، فالهوية ليست مجرد انعكاس للماضي أو استجابة للظروف الراهنة، بل هي مشروع مستقبلي يتم تصوره وتشكيله في الحاضر، وإن وعي الفرد بإمكانياته في اللحظة الراهنة، وقدرته على تصور مستقبل مختلف والسعي لتحقيقه، يلعب دوراً حاسماً في توجيه مسار هويته^(١)

"وأنت أيها الحلم المعجون بصدأ الماء، ألا تنفك عن حاجبي، أم سيتعين علي أن أضحي ك (اسفنديار) بعيني وأعلن عن عقيدتي، فيما يحدوني مثلها أمل بأن تنحت الشمس يوماً من أشعتها سهام نور وتطلقها بقوس أزلي... بأزلية الحب إلى قلب (رستم)".^(٢)

يتجلى الحاضر كلحظة حرجة ومحورية في تشكيل الهوية، وهو ما ينسجم مع رؤية الدكتورة خالدة خليل للهوية فر رواية "أشعة الهراء"، كلحظة فعل وتقدير مصير، وتشكل مخاطبة "الحلم" في الحاضر، حيث يستمر تأثيره السلبي ("المعجون بصدأ الماء") على المتحدث ("ألا تنفك عن حاجبي")، والفعل المضارع المنفي "ألا تنفك" يعكس استمرار هذا التأثير في اللحظة الراهنة، مما يبرز الحاضر كزمن مواجهة مع الماضي أو مع عبء مستمر، والسؤال التالي "أم سيتعين علي أن أضحي ك (اسفنديار) بعيني وأعلن عن عقيدتي؟" يطرح خياراً جذرياً في الحاضر للتخلص من هذا التأثير، والفعل المضارع "سيتعين" يشير إلى ضرورة ملحة تتبع من هذا الحاضر المليء بالضغط، حيث يصبح التغيير أو التضحية أمراً لا مفر منه لإعادة تعريف الذات، ويعكس هذا كيف أن الحاضر، في منجز الدكتورة خليل، ليس مجرد زمن سلبي يستقبل تأثيرات الماضي، بل هو لحظة اختيار واعية لتحديد مسار الهوية.^(٣)

تستلهم الدكتورة خليل فضاءً كونياً شاسعاً فر رواية "أشعة الهراء"، لتدشين مشهد رمزي بالغ الدلالة ("لجّة تلك المجرة الرحبية")، فمن هذا البعد الكوني ينبعث ("تنبثق نفحات") إعلان ذو أهمية قصوى ("مدوّ لحقوق امرأة نائية")، لكنه مُضمّن في سياق ثقافي وتاريخي موغل في القدم والغراية ("دساتير ذات صبغة تترية عتيقة")، وهذا التوصيف الأولي يشي بغربة هذه الحقوق أو ربما بكونها حبيسة سياق تاريخي بعيد عن الواقع المعاصر.^(٤)

(١) يُنظر: "تخييل الزمن الكولونيالي: ازدواجية الخطاب وتمزقات الذات والهوية في رواية "ما يدين به النهار لليل" لياسمينه خضرا"، عبدالله شطاح، ص ٨٧.

(٢) أشعة الهراء (رواية)، خالدة خليل، ص ١٥

(٣) يُنظر: "الزمن والمكان في رواية "رابع المستحيل" للقاص عبد الكريم السبعواوي"، عبد الخالق محمد عبد الخالق العف، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد ١٦، العدد ٢، (٢٠٠٨)، ص ٤٤.

(٤) يُنظر: "دينامية الهوية السردية بين الهوية العينية والهوية الذاتية في رواية غريق يتسلى في أرجوحة ليوسف المحيميد: دراسة سيميائية"، أميرة محارب العتيبي، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز - الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد ٢٩، العدد ٥، ٢٠٢١، ص ٣٣٥

"تنبعث داخل تلك المجرة أنفاس إعلان لحقوق امرأة غريبة في دساتير تنرية، تُشيد فوق سطورها قصور حرية زائفة، وترقص حول شمسها كواكب، ظلت تُحضر لوثيقة استسلام في قلعة ملك محاصر على رقعة شطرنج." (١)

تتضح المفارقة الصارخة في الشطر الثاني، حيث تتحول سطور هذا الإعلان المبدئي إلى أساس لإنشاء هياكل خادعة ("تُشاد صروح حرية موهومة")، ويكشف هذا التعبير البليغ عن فجوة عميقة بين التنظير المثالي للحرية والواقع المزيف الذي يُقام على أسسه، وفي مقابل هذا البناء الزائف، تتجلى حركة كونية بديعة ("تدور الكواكب في مدارات حول شمسها")، لكن هذه الحركة المنتظمة والظاهرية للقوة والتبعية تتوازى مع فعل باطني ومُذل ("بينما هي تواظب على تهيئة وثيقة استسلام مُذلة") يحدث في حيز ضيق ومُحاصر ("في معقل ملكٍ مُحاصر على مسرح شطرنج القدر"). (٢)

تختتم الدكتورة خليل المقطع بصورة رمزية قوية تجمع بين عظمة الكون وضآلة الفعل الإنساني في سياق السلطة والصراع، فبينما تدور الكواكب حول شمسها في حركة كونية مهيبية، يتم في الخفاء الإعداد لوثيقة استسلام لملك مُحاصر على "مسرح شطرنج القدر"، دلالة على أن حتى أصحاب السلطة والنفوذ قد يجدون أنفسهم أسرى لعبة قوى أكبر، وأن مظاهر القوة الظاهرية قد تخفي واقعاً من الهزيمة والخضوع. (٣)

"وظل التتري الأشعث صاحب الرمح السحري يُعلن مصير (زنوبيا) وهي تحشد جيوشها السقوط بين أيدي عارية تنسبها فرسان قلعتها الهاربين وجنودها القتلى على يد تتري يزعم أن يُشهر سيفه مرة أخرى بوجه (نمرود): ها أنا ذا تتريك الذي لا يُهزم، سأجعل من (زنوبيا) و(كليوباترا) و(بلقيس) حمضيات، وأبقى القوام عليهن وسألحق بمن (رابعة) و(شيفا) و(جیلان) و(كاتي) و(ريتا).." أنا التتري الخالد سأملكهن جميعاً ما دمن نساء كل العصور.

وأنت بقيت تبحث أيضاً يا صديقي، فيما كنتُ عني أنا منهمكةً في البحث عني في أروقة تاريخ قيل إنه ضاع، وكان يشرح سكون كلينا برق قادم من سماء ألف ليلة وليلة يفرش عرش بلقيس المقنع بمرايا وثنية أولى، ربما ليهدينا إلى مملكة خليفة عباسي ذي قرون أربعة، أو ربما ليضلنا عنه. (٤)

في هذا الانزياح الأسطوري الجريء الذي تجسده رواية "أشعة الهراء"، تعتمد الدكتورة خالدة خليل إلى تفكيك السرديات الملحمية الذكورية وإعادة صياغتها بمنظور أنثوي مُغاير، ففي استلهاً لشخصيتي "إسفنديار"

(١) "الرواية الجزائرية المعاصرة وإشكالية الهوية: كتابات واسيني الأعرج "أنموذجاً" " خليفة بولفاعة، مجلة اللغة العربية، المجلد ٢٥، العدد ٤، (٢٠٢٣)، ص ١٩١.

(٢) "الهوية وتجلياتها السردية في أعمال اميل حبيبي" رسالة ماجستير، يوسف حسين محمود حمدان، ص ٧٥.

(٣) يُنظر: "الزمن النحوي بين الفارسية والعربية: تطبيقاً على رواية زقاق المدق لنجيب محفوظ وترجمتها إلى الفارسية، شيرين خيرى عبدالنبي، مجلة حوليات آداب عين شمس، المجلد ٤٤، (٢٠١٦)، ص ٥١٠.

(٤) أشعة الهراء (رواية)، خالدة خليل، ص ١٩.

و"رستم" من "الشاهنامة" الفارسية، يتم قلب الأدوار التقليدية رأسًا على عقب، فبدلاً من البطل الذكر الذي يضحي ببصره في سبيل عقيدته، نجد هنا الأنثى هي من تتخذ قرار التضحية بعينيها، لكن ليس في سياق الولاء الأعمى، بل سعيًا لإطلاق "سهام النور" نحو قلب "رستم"، الذي يُمثل هنا الخصم الذكر، ويحوّل هذا التحويل الدلالي العميق الملحمة من صراع تقليدي للقوة بين ذكور إلى محاولة أنثوية فريدة لاختراق هذا العالم الذكوري المهيمن بسلاح الحب والنور، مُشيرةً إلى استراتيجية أنثوية بديلة للمواجهة.

• المستقبل بوصفه هوية (الهوية في المنجز الأدبي للدكتورة خالدة خليل)

يبرز المستقبل في أدب الدكتورة خليل حلبةً للصراع والتنازع بين ضروب الرغبات والتوقعات المتباينة، فليس ثمة مستقبل واحد مُنقّق عليه، بل تتعدد الرؤى والتصورات المستقبلية للشخصيات قاطبةً، وقد تتعارض هذه الرؤى وتُفضي إلى نزاعات داخلية أو خارجية، وهذا التنازع حول الآتي يُسهم بدوره في تشكيل الهوية، حيث تتبلور مواقف الشخصيات وولاءاتها استنادًا إلى تصوراتها للمستقبل الذي تنشده أو تخشاه، فالشخصية التي تستشعر في المستقبل تهديدًا لقيمها أو لوجودها، تُعيد تعريف هويتها في الحاضر بوصفها مُدافعة أو مُقاومة لهذا المستقبل المُحتمل، وهذا الجدل حول الآتي يُجلي الهوية بوصفها كيانًا ديناميكيًا يتشكل ويتغير تبعًا لتفاعله مع الاحتمالات المستقبلية المتنوعة.^(١)

كما تطرح المستقبل في منجزها الأدبي بوصفه مسؤولية مُلقاة على عاتق الحاضر، فالهوية لا تنشأ بمعزل عن التفكير في التداعيات المستقبلية للأفعال الراهنة، وهناك وعيٌ حاد بأن الحاضر هو النواة التي ستُورق مستقبلاً ما، وأن الخيارات التي تتخذها الشخصيات في لحظتها الراهنة ستُلقي بظلالها على هويتها في الغد، وهذا الإدراك للمسؤولية المستقبلية يُسهم في تشكيل هوية أخلاقية وواعية، حيث تُوزن الأفعال الحالية ليس فقط بميزان نتائجها الآنية، بل أيضًا بمقياس تأثيرها المُحتمل على المستقبل، فالشخصية التي تسعى لتشييد مستقبل أبهى للأجيال اللاحقة، تُعيد تعريف هويتها في الحاضر بوصفها فاعلة ومؤثرة في هذا المسار المستقبلي.^(٢)

كما تلمس فكرة المستقبل بوصفه مُعَيَّنًا للهوية في استكشاف الدكتورة خليل لمفهوم الذاكرة المستقبلية أو التوقع، فالشخصيات لا تتأثر فحسب بذكرات الماضي، بل أيضًا بتوقعاتها للغد، وهذه التوقعات تُصوغ تصوراتها لذاتها في المستقبل وتؤثر في سلوكها في الحاضر، فالشخصية التي تتوقع مستقبلاً مُزدهراً أو سعيداً، قد تُعيد تعريف هويتها في الحاضر بوصفها واثقة أو مُقائلة، وتسعى جاهدةً لتحقيق تلك الرؤية المستقبلية، وعلى النقيض الشخصية التي تتوقع مستقبلاً قاتمًا أو مُهددًا، قد تُعيد تعريف هويتها في الحاضر بوصفها قلقة أو حذرة، وتتخذ

(١) يُنظر: الزمان الدلالي لدراسة لغوية لمفهوم الزمن وألفاظ الثقافة العربية، كريم زكي حسام الدين، ص ٦٢.

(٢) يُنظر: الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة، سعد عبد العزيز، ص ٤٥.

مجلد كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية

الهوية في المنجز الأدبي للدكتورة خالدة خليل

مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية التربية الأساسية / جامعة بابل

(١) تدابير احترازية لتجنب ذلك المستقبل المحتمل.

تُقدم الدكتورة خالدة خليل في منجزها الأدبي رؤية مُتجاوزة للهوية، ترى فيها بُعدًا مستقبليًا فاعلاً ومؤثرًا، فالمستقبل ليس محض طور زمني مُنتظر، بل هو قوة دافعة للأمل والتجاوز، وحلبة للصراع والتنازع، ومسؤولية مُلقاة على عاتق الحاضر، ومنهل للتوقعات التي تُعيد تشكيل الهوية في اللحظة الراهنة، وإن استحضار المستقبل بوصفه جزءًا أصيلًا من الهوية يُثري العمق الإنساني لشخصياتها ويمنحها أبعادًا وجودية تتسامى على حدود الزمان والمكان.

تتبدى لنا رؤية عميقة للهوية تتجاوز حدود الزمان والمكان رواية "أشعة الهراء" للدكتورة خالدة خليل، مُعلنةً عن ذات مُتعددة الأوجه ومُتجاوزة للفردية الضيقة، وعبر حوار مُوجه إلى شخصية "زوربا"، تستكشف المتحدثة طبيعة وجودها وعلاقتها بالتاريخ والإنسانية جمعاء، مُقدمةً تعريفًا للهوية لا يرتكن إلى الحاضر الآني أو الماضي الفردي، بل يمتد ليشمل الماضي الجمعي وإمكانية التناسخ، مُلقيةً بظلال من التساؤلات الوجودية حول دور هذه الهوية في عالم يسوده الجوع الروحي والمادي. (٢)

"ستبحث عني آلاف السنين يا زوربا، ولن تجد غير ظلال المحشوة بتواريخ أهل الأرض، روح أنا مَبْثُوثَةٌ في ألف جسد، هكذا يصير لزاما عليك أن تؤمن بالتناسخ سبيلاً وحيداً إلي.

هل تعرف أن أم حواسم أنجبت مرات على أرض بابل وآشور وبانيبال وقادسيتهيا آلاف الجنود المهزومين، فيما كانت الداية تمطر فوق رؤوس الجياع رائحة حلوى في كل مرة، لكنك لم تع يا (زوربا) أنني لن أقرئك تاريخاً بلا تاريخ، وأنني كنت أحصد في أرض ما بعد الطوفان نظرات بطون جائعة.

أكون بوصلة ملاح تائه؟ أم أكتفي بسكب نبذ أحرفي الضالة في كلمات معتقة أو كؤوس خلود؟" (٣)

تستهل الدكتور خالدة خليل بتأكيد مستقبلي قاطع ("ستظل تبحث") يضعه المتحدث في مواجهة مباشرة مع "زوربا"، وهذا الفعل المستقبلي المستمر يُؤسس لهوية المتحدث المتعالية والمتجاوزة للزمن، هوية عصية على الإدراك المباشر، ويُعزز النفي القاطع ("ولن تعثر") هذه الهوية غير القابلة للاختزال في حدود فردية، بل هي "أطيا في المُحشوة بتواريخ أهل الأرض قاطبة"، مما يشير إلى هوية جمعية أو كونية مُحملة بتجارب الماضي الإنساني برمته، والإعلان عن الذات كـ "روح مُبْثُوثَةٌ في ألف جسد" يُرسخ فكرة التناسخ ("يغدو الإيمان بالتناسخ سبيلك الأوح") كطريق وحيد لفهم هذه الهوية المتعددة والمتجددة، مما يتحدى مفهوم الهوية الفردية الثابتة. (٤)

(١) يُنظر: بنية الشكل الروائي الفضاء الزمن الشخصية، حسن بحراوي، ص ١٤٠.

(٢) يُنظر: "المكان والزمان في رواية النبطي: دراسة تحليلية"، منتهى طه الحراشة، مجلة كلية الآداب، المجلد ٧٤، الجزء ٤، (٢٠١٤)، ص ١٠٩.

(٣) أشعة الهراء (رواية)، خالدة خليل، ص ٢٤.

(٤) يُنظر: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، أحمد حمد النعيمي، ص ٣٨.

ينتقل المقطع إلى استحضار الماضي ("أتدري") في سياق توبيخي لجهل "زوربا"، ويتم تصوير فعل الإنجاب المتكرر ("قد أنجبت مرارًا وتكرارًا") لأمهات حواسم على أرض الحضارات القديمة، لكن الناتج هو "آلاف الجنود المنهزمين"، مما يوحي بدورة تاريخية من الفشل والهزيمة، وفي المقابل فعل الإمطار الرمزي ("كانت الداية تُمطر") لأريج الحلوى فوق رؤوس الجوع يُبرز مفارقة مؤلمة بين الوعد الزائف والإشباع الحقيقي، والنفي القاطع لتقديم تاريخ مجرد ("لن أتلي عليك تاريخًا مُجردًا من التاريخ") يؤكد على رفض المتحدثة لتقديم سرديات سطحية، بينما فعل الحصاد الماضي ("كنتُ أحصد") لنظرات البطون الجائعة في "أرض ما بعد الطوفان" يُشير إلى هوية مُرتبطة بالمعاناة الإنسانية الأساسية والمستمرة عبر التاريخ. (١)

ترسم الدكتورة خالدة خليل في رواية "أشعة الهراء" صورة قاتمة لمستقبلها الرمزي، مستقبل مُثقل بالخسارة والصمت والانتظار، وفعل التوريث ("سأورث أحلامي للصدى والخريف") يحمل دلالة التخلي والزوال، حيث تُقدم الأحلام كشيء عابر سيؤول إلى العدم ("الصدى") وإلى رمز الذبول والانهاء ("الخريف")، ولا يقتصر هذا التوريث على الأحلام، بل يمتد إلى بقايا الحداد في "رئة الشعر"، مما يشير إلى موت الإبداع أو تحوله إلى أنين مكتوم ("سأسكب أنيني في رئة الشعر"). (٢)

"سأورث أحلامي للصدى والخريف الذي قضم تبقى من حداد

في رئة الشعر سأسكب أنيني

وفي صمت الكلمات أسافر

في علامات السكون التي ورثتني إياها

سأصيب عيني بصمم غريب كي لا أراني في مرآة

أو في صحائف وقت

مبتلة بالغرور

تمر فوق شظايا الشوق المتناثر

عربات النهار

وغيمة تمانن الجفاف

سلعة أحلق في مظلة الانتظار" (٣)

(١) يُنظر: "المكان والزمان في رواية القمع العربية" رسالة ماجستير، لبني عبدالعزيز جبر أبو جلهوم، الجامعة الإسلامية (غزة)، غزة، ٢٠١٨، ص ٦٠.

(٢) "المكان والزمان في رواية النبطي: دراسة تحليلية"، منتهى طه الحراشة، مجلة كلية الآداب، المجلد ٧٤، الجزء ٤، (٢٠١٤)، ص ١١٠.

(٣) أشعة الهراء (رواية)، خالدة خليل، ص ٦٣

تبرز في المقطع أزمنة الأفعال المستقبلية ("سأورث"، "سأسكب"، "سأسافر"، "سأصيب"، "أحلق") لتشكيل الهيكل الأساسي للهوية المستقبلية المتصورة، وهذه الأفعال، بصيغة المتكلم المفرد، تؤكد على فردية التجربة وعزلة الذات في مواجهة المستقبل، ولكن دلالات هذه الأفعال نفسها تكشف عن هوية مستقبلية متخلية وسلبية، فتورث الأحلام للصدى والخريف لا يعني استمرارها أو ازدهارها، بل تلاشيها وانتهائها، وسكب الأنين في رئة الشعر ليس فعل إبداع أو تحرر، بل تعبير عن ألم مكتوم يُحتضن داخل الذات، والسفر في صمت الكلمات هو انسحاب من التواصل والتعبير، دلالة على هوية مستقبلية مُغلقة على ذاتها وغير قادرة على التفاعل مع العالم الخارجي، وإصابة العين بالصمم البصري هو رفض واعي لرؤية الذات في مرآة الحاضر أو سجلات الماضي، مما يشير إلى هوية مستقبلية رافضة للتأمل والمحاسبة. (١)

تتخلل هذه الأفعال المستقبلية صور زمنية وحالات وجودية قاتمة، ومرور "عربات النهار" فوق "شظايا الشوق المتناثر" يصور المستقبل كاستمرار للزمن الذي يدوس على بقايا المشاعر الإنسانية، مُحولاً إياها إلى مجرد شظايا مُتناثرة، وصورة "غيمة تمانن الجفاف" التي تمر فوق هذه الشظايا تُعمق إحساس القحط العاطفي والروحي الذي يُميز هذا المستقبل المتصور، والهوية المستقبلية هنا ليست فاعلة أو مُتغيرة، بل هي ضحية لقسوة الزمن وجفاف المشاعر، مُجرد متلقٍ سلبي لتأثيرات خارجية مُدمرة. (٢)

يُختتم المقطع بالفعل المضارع "أحلق في مظلة الانتظار"، وهو فعل يحمل دلالة الاستمرار والثبات في حالة من التعليق، و"مظلة الانتظار" ليست مكاناً للتحرك أو الفعل، بل هي فضاء سلبي للحماية المؤقتة من المطر، لكنها عاجزة عن تغيير طبيعة الجفاف القادم، والهوية المستقبلية هنا تُصبح هوية مُعلّقة، مُنتظرة لمصير غير واضح، وغير قادرة على التأثير في مسار حياتها، وإنها هوية مستقبلية مُستسلمة لحالة من الركود والجمود العاطفي والروحي. (٣)

يرسم المقطع صورة قاتمة للهوية مستقبلية مُتخلية عن الفعل والتواصل، مُثقلة بالصمت والجفاف العاطفي، ومُستسلمة لحالة من الانتظار السلبي، وأزمنة الأفعال المستقبلية لا تعبر عن إرادة أو تطلع، بل عن يأس واستسلام لمستقبل مُظلم ومُنهك، والهوية هنا ليست قوة فاعلة تصنع المستقبل، بل ضحية مُنتظرة لما سيحمله الزمن من قسوة وجفاف.

(١) يُنظر: "رواية" العطارين: بين المكان والزمان السكندري، شوقي بدر يوسف، مجلة أدب ونقد، العدد ٤٢٢، (٢٠٢٣)، ص ٨٨.

(٢) يُنظر: "المكان والزمان في رواية القمع العربية" رسالة ماجستير، لبنى عبدالعزيز جبر أبو جلهوم، الجامعة الإسلامية (غزة)، غزة، ٢٠١٨، ص ٦٥.

(٣) يُنظر: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، أحمد حمد النعيمي، ص ٤٠.

المصادر والمراجع:

- ١- أبعاد الهوية الوطنية في كتابات المنفي، السعدية زابي، مجلة جامعة الزيتونة الدولية، العدد الثالث عشر، ٢٠٢٣.
- ٢- أبعاد الهوية في رواية الخيال العلمي "معبد تانيت الهادي ثابت" أنموذجا (رسالة ماجستير غير منشورة)، آسية بولخماير، وسارة بوعافية، جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل (قسم اللغة والأدب العربي)، ٢٠١٨.
- ٣- أشرعة الهراء (رواية)، خالدة خليل، دار شمس، القاهرة، ٢٠٠٩.
- ٤- إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، ماجدة حمود، عالم المعرفة، دولة الكويت، د. ط، ٢٠١٣.
- ٥- إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، أحمد حمد النعيمي، المؤسسة العربية، بيروت، ٢٠٠٤.
- ٦- بحر يموؤ على كفي (رواية)، خالدة خليل، دار شمس، ٢٠٢٤.
- ٧- بنية الشكل الروائي الفضاء الزمن الشخصية، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠.
- ٨- البنية السردية عند الطيب صالح البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال، عمر عاشور، دار هومة، الجزائر، ٢٠١٠.
- ٩- التاريخ بوصفه أداة لتعزيز الهوية الوطنية (قراءة في رسائل فضل الأندلس)، عامر ممدوح خيرو، مجلة مراد الدان، مؤتمر ٢٠٢٠، المجلد ١، ٢٠٢٠.
- ١٠- التاريخ من باطن الأرض"، بهنام ابو الصوف، مطابع شركة الأديب، ٢٠٠٩.
- ١١- تخيل الزمن الكولونيالي: ازدواجية الخطاب وتمزقات الذات والهوية في رواية "ما يدين به النهار لليل" لياسمينه خضرا"، عبدالله شطاح، مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، المجلد ٥، العدد ٢١، ٢٠١٧.
- ١٢- تشظى الهوية الإنسانية في الرواية العراقية"، إسرائ حسين جابر، مجلة مسارات، العدد ٢٦، ٢٠٢٢.
- ١٣- تفكيك النص - مقاربات دلالية في نصوص منتخبة، كتاب في النقد، خالدة خليل، اتحاد الأدباء الكرد في دهوك، ٢٠١١.
- ١٤- توهجات رماد، خالدة خليل، دار شمس، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٣.
- ١٥- جدل الهوية والمكان: حساسية الوجدان الوطني في القصيدة العربية: شعر محمد صابر عبيد إنموذجا"، مولود مرعي حسن صالح الويس، مجلة آداب الفراهيدي، المجلد ١٣، العدد ٤٦، ٢٠٢١.
- ١٦- جغرافيا الهوية: المكان والذاكرة في الفن الفلسطيني المعاصر"، تينا شيروول، مجلة الآداب، العدد ٢، ١، ٢٠٠٤.
- ١٧- دينامية الهوية السردية بين الهوية العينية والهوية الذاتية في رواية غريق يتسلى في أرجوحة ليوسف المحيميد: دراسة سيميائية"، أميرة محارب العتيبي، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز - الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد ٢٩، العدد ٥، ٢٠٢١.

مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية

الهوية في المنجز الأدبي للدكتورة خالدة خليل

مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية التربية الأساسية / جامعة بابل

- ١٨- رواية "العطارين": بين المكان والزمان السكندري"، شوقي بدر يوسف، مجلة أدب ونقد، العدد ٤٢٢، ٢٠٢٣
- ١٩- الرواية الجزائرية المعاصرة وإشكالية الهوية: كتابات واسيني الأعرج "أنموذجاً" " خليفة بولفاعة، مجلة اللغة العربية، المجلد ٢٥، العدد ٤، ٢٠٢٣.
- ٢٠- رواية العراقية صورة الوجد العراقي، حسين الكساف، الوُسم للنشر والتوزيع، ٢٠١٤.
- ٢١- الزمان الدلالي لدراسة لغوية لمفهوم الزمن وألفاظ الثقافة العربية، كريم زكي حسام الدين، دار غريب.
- ٢٢- الزمان والمكان في رواية "رابع المستحيل" للقاص عبد الكريم السباعي"، عبد الخالق محمد عبد الخالق العف، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد ١٦، العدد ٢، ٢٠٠٨.
- ٢٣- الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة، سعد عبد العزيز، المطبعة الفتية، ط٢، القاهرة، ١٩٧٠.
- ٢٤- الزمن النحوي بين الفارسية والعربية: تطبيقاً على رواية زقاق المدق لنجيب محفوظ وترجمتها إلى الفارسية، شيرين خيرى عبدالنبي، مجلة حوليات آداب عين شمس، المجلد ٤٤، ٢٠١٦.
- ٢٥- الشخصيات النسائية في رواية أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد (١)، حسناء بوزويطة الطرابلسي، مجلة ثقافات، العدد ١٣، ٢٠٠٥.
- ٢٦- صراع الهوية وأشكال العنف في رواية خرفان المولى لياسمينه خضرا"، فيصل نوي، مجلة لغة، مجلة كلام، المجلد ٧، العدد ٣، ٢٠٢١.
- ٢٧- صراع الهوية والذات في رواية "حتى العصافير هاجرت" لهاجر ميموني، عرجون حنان وعريبي بدر، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، ٢٠١٩.
- ٢٨- طبيعة المعرفة التاريخية وفلسفة التاريخ، حسين محسن، أربيل مؤسسة موكرياني، ٢٠١٢.
- ٢٩- العلوم الإنسانية والفلسفة، لوسيان غولدمان، ترجمة يوسف الأنطكي، القاهرة المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٦.
- ٣٠- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط٨، ٢٠٠٥.
- ٣١- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٨٦٣.
- ٣٢- ماهية الهوية الوطنية وتحدياتها: تحديات الهوية الوطنية العراقية، نموذجاً"، أيوب محمد طيب، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية المجلد ٦، العدد ٢١، ٢٠١٧.
- ٣٣- محمد يوسف سواعد: المرأة في الأدبيات العربية المعاصرة (مصر نموذجاً)، دار زهران، عمان، ٢٠١٠.
- ٣٤- مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، محمد عمارة، دار نهضة مصر، ١٩٩٩.
- ٣٥- المرأة واللغة ثقافة الوهم مقاربات حول المرأة والجسد، عبد الله الغدامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٠.

- ٣٦- مفهوم الهوية في عالم متغير، رشيد الحاج صالح، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، المجلد ٣٣، العدد، ١٣٠، ٢٠١٥.
- ٣٧- مقدمة ابن خلدون، (ج ٢)، عبد الرحمن ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد درويش دار يعرب، (ط)، ٢٠٠٤.
- ٣٨- المكان والزمان في رواية القمع العربية" رسالة ماجستير، لبنى عبدالعزيز جبر أبو جلهوم، الجامعة الإسلامية (غزة)، غزة، ٢٠١٨.
- ٣٩- المكان والزمان في رواية النبطي: دراسة تحليلية"، منتهى طه الحراشنة، مجلة كلية الآداب، المجلد ٧٤، الجزء ٤، ٢٠١٤.
- ٤٠- المكان وتحولات الهوية عند محمود درويش" رسالة ماجستير، ليانة عبدالرحيم كمال عبد ربه، جامعة بيرزيت، بيرزيت، ٢٠١٢.
- ٤١- المكان ودلالاته في رواية مدن الملح، صالح ولعة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٠.
- ٤٢- المكان: هوية الإنسان وسياقه الفضائي"، غسان مراد، مجلة دراسات جامعية في الآداب والعلوم الإنسانية، العدد ٣، ٢٠٢٠.

- 1- Dimensions of National Identity in the Writings of the Exile, Saadia Zabi, Journal of the International University of Ez-Zitouna, Issue Thirteen, 2023.
- 2- Dimensions of Identity in the Science Fiction Novel "The Temple of Tanit El Hadi Thabet" as a Model (Unpublished Master's Thesis), Assia Boulkhmeier and Sarah Bouafia, University of Mohamed Seddik Ben Yahia - Jijel (Department of Arabic Language and Literature), 2018.
- 3- Sails of Nonsense (Novel), Khalida Khalil, Shams Publishing and Distribution, 1st ed., Cairo, 2009.
- 4- The Problem of Self and Other (Arab Novel Models), Majida Hamoud, World of Knowledge, Kuwait, Dr. 1st ed., 2013.
- 5- The Rhythm of Time in the Contemporary Arab Novel, Ahmed Hamad Al-Naimi, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 2004.
- 6- A Sea Rushing on My Hands (novel), Khalida Khalil Shams Publishing and Distribution, 1st ed., 2024.
- 7- The Structure of the Novelistic Form: Space, Time, and Character, Hassan Bahrawi, Arab Cultural Center, Beirut, 1990.
- 8- Narrative Interface in Tayeb Salih: The Temporal and Spatial Structure in Season of Migration to the North, Omar Ashour, Houma Printing and Publishing House, Algeria, 2010.
- 9- History as a Tool for Strengthening National Identity (A Reading of the Letters of Fadl al-Andalus), Amer Mamdouh Khairou, Murad Al-Dan Magazine, 2020 Conference, Volume 1, 2020.
- 10- History from the Underground, Bahnam Abu Al-Soof, Al-Adib Company Printing

Press, 2009.

- 11- Imagining Colonial Time: Duality of Discourse and Rifts Self and Identity in Yasmina Khadra's "What the Day Owes to the Night," by Abdullah Shattah, Tabayyun Journal for Intellectual and Cultural Studies, Volume 5, Issue 21, 2017
- 12- The Fragmentation of Human Identity in the Iraqi Novel, by Israa Hussein Jaber, Masarat Journal, Issues 26 and 27, 2022
- 13- Deconstructing the Text - Semantic Approaches in Selected Texts, A Book of Criticism, by Khalida Khalil, Kurdish Writers Union in Duhok, 2011
- 14- Ashes of Glow, by Khalida Khalil Shams Publishing and Distribution, General Directorate of Cultural Affairs, Baghdad, 2013
- 15- The Dialectic of Identity and Place: The Sensitivity of National Conscience in Arabic Poetry: The Poetry of Muhammad Saber Ubaid as a Model, by Mawloud Mar'i Hasan Salih Al-Wais, Al-Farahidi Journal of Literature, Volume 13, Issue 46, 2021
- 16- The Geography of Identity: Place and Memory in Contemporary Palestinian Art, by Tina Shirol, Al-Adab Journal Issue 1, 2, 2004
- 17- The Dynamics of Narrative Identity between Specific Identity and Self-Identity in the Novel "A Drowning Man Amuses himself in a Swing" by Youssef Al-Muhaimid: A Semiotic Study, by Amira Muharib Al-Otaibi, King Abdulaziz University Journal of Arts and Humanities, Volume 29, Issue 5, 2021
- 18- The Novel "The Perfumers": Between Alexandrian Space and Time, by Shawqi Badr Youssef, Literature and Criticism Magazine, Issue 422, 2023
- 19- The Contemporary Algerian Novel and the Problem of Identity: The Writings of Wasini Al-A'raj as a Model, by Khalifa Boulefaa, Journal of the Arabic Language, Volume 25, Issue 4, 2023.
- 20- The Iraqi Novel "The Image of Iraqi Pain", by Hussein Al-Kassaf, Al-Awsam Publishing and Distribution, 2014.
- 21- Semantic Time: A Linguistic Study of the Concept of Time and Arabic Cultural Vocabulary, by Karim Zaki Hussam Al-Din, Dar Gharib for Printing and Publishing
- 22- Time and Place in the Novel "Fourth" "The Impossible" by Abdul Karim Al-Sabaawi, Abdul Khaliq Muhammad Abdul Khaliq Al-Af, Islamic University Journal for Humanities Research, Volume 16, Issue 2, 2008.
- 23- Tragic Time in the Contemporary Novel, Saad Abdul Aziz, Al-Fateh Press, 2nd ed., Cairo, 1970.
- 24- Grammatical Time between Persian and Arabic: An Application to Naguib Mahfouz's Midaq Alley and Its Persian Translation, Sherine Khairy Abdel Nabi, Ain Shams University Annals of Arts, Volume 44, 2016.
- 25- Female Characters in Ahlam Mosteghanemi's Novel: Memory in the Flesh (1), Hasnaa Bouzouita Al-Tarabulsi, Thaqafat Magazine, Issue 13, 2005.
- 26- Identity Conflict and Forms of Violence in Yasmina Khadra's The Sheep of the Lord, Faisal Naw, Language Magazine, Kalam Magazine, Volume 7, Issue 3, 2021

- 27- Identity and Self Conflict in Hajar's Novel "Even the Birds Migrated" Mimouni, Arjoun Hanan and Arabi Badra, University of Mohamed Khider Biskra, Faculty of Arts and Languages, Department of Arabic Language and Literature, Unpublished Master's Thesis, 2019.
- 28- The Nature of Historical Knowledge and the Philosophy of History, Hussein Mohsen, Erbil, Mukriani Foundation, 2012.
- 29- Humanities and Philosophy, Lucien Goldman, translated by Youssef Al-Antaki, Cairo, Supreme Council of Culture, 1996.
- 30- Al-Qamus Al-Muhit, Majd Al-Din Muhammad bin Ya'qub Al-Fayrouzabadi, edited by Muhammad Na'im Al-Arqsousi, Al-Risala Foundation for Printing, Publishing and Distribution, 8th ed, 2005.
- 31- Lisan Al-Arab, Jamal Al-Din Muhammad bin Makram Ibn Manzur, Dar Sadir, Beirut, Lebanon, 1st ed, 1863.
- 32- The Nature of National Identity and Its Challenges: Challenges of the Iraqi National Identity, as a Model, Ayoub Muhammad Tayyib, Journal of the Faculty of Law for Legal and Political Sciences, Volume 6, Issue 21, 2017.
- 33- Muhammad Yusuf Suwaed: Women in Contemporary Arabic Literature (Egypt as a Model), Dar Zahran for Publishing and Distribution, Amman, Jordan, 1st ed., 2010.
- 34- The Dangers of Globalization on Cultural Identity, Muhammad Amara, Dar Nahdet Misr for Printing, Publishing, and Distribution, Cairo, 1st ed., 1999.
- 35- Women and Language: The Culture of Illusion: Approaches to Women and the Body, Abdullah Al-Ghadami, Arab Cultural Center, Casablanca, 2000.
- 36- The Concept of Identity in a Changing World, Rashid Al-Haj Saleh, Arab Journal of Humanities, Volume 33, Issue 130, 2015.
- 37- Ibn Khaldun's Introduction, (Part 2), Abdul Rahman Ibn Khaldun, edited by Abdullah Muhammad Darwish, Dar Ya'rub, (1st ed.), 2004.
- 38- Space and Time in the Arab Novel of Oppression, Master's Thesis, Lubna Abdul Aziz Jabr Abu Jalhoum, Islamic University (Gaza), Gaza, 2018.
- 39- Space and Time in the Nabati Novel: An Analytical Study, Muntaha Taha Al-Harabsheh, Faculty Journal Literature, Volume 74, Part 4, 2014.
- 40- Place and Identity Transformations in Mahmoud Darwish's Poetry, MA Thesis, Liana Abdel Rahim Kamal Abd Rabbo, Birzeit University, Birzeit, 2012.
- 41- Place and Its Significance in the Novel Cities of Salt, Saleh Walaa, Modern Books World, Jordan, 2010.
- 42- "Place: Human Identity and Its Spatial Context," Ghassan Murad, Journal of University Studies in Arts and Humanities, Issue 3, 2020.